



روايات عالمية للحب



Looloo

www.dvd4arab.com

بفلم : جـول فيرين
عرض : د. أحمد خالد توفيق

رئيسية
البريد الإلكتروني

المؤلف

إن هؤلاء الذين توترت أعصابهم مع
(فيلياس فوج) الذي يحاول أن يدور حول العالم في
ثمانين يوماً وإلا فقد ثروته ؛ والذين ارتجفوا وهم
ينزلون في غواصة الكابتن (نيمو) على عمق
عشرين ألف فرسخ تحت البحر .. ؛ والذين حبست
أنفاسهم مغامرات (ميشيل ستروجنوف) رسول
القيصر ؛ والذين غرقوا في الحسابات المعقدة مع
(ميشيل آردان) لمعرفة هل يمكنهم الوصول إلى
القمر عبر فوهة مدفع أم لا .. ، كل هؤلاء يعرفون
جيداً الأديب الفرنسي العبقري (جول فيرن) !

من هذا العبقري صانع الأحلام ؟

• ولد (جول فيرن) في (نانتي) بفرنسا عام
١٨٢٨م .. درس القانون وهوى الأدب .. وكالعادة
كانت للأدب الكلمة العليا .. وهكذا قدم بعض
مسرحيات شعرية محدودة النجاح ، ورواية تاريخية
عاطفية (مارتين باز) لم يسمع بها أحد ، على أن
نجاحه تحقق حين قدم روايته (خمسة أسابيع في
منطاد) التي حققت نجاحاً غير عادي .. وتوالى
رواياته ذات الأسماء المدوية والتي جعلت منها

روايات عالمية شهيرة

سلسلة جديدة ، تقدم لك أروع ما يزرع به الأدب
العالمي ، في مختلف صنوفه ..

من الألفاظ البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الغرومية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

واليك ..

د. نبيل فاروق

المبينما أحلاماً ملموسة عالقة بالأذهان .. (مغامرات
الكابتن هاثيرا) .. (رحلة إلى قلب الأرض) .. (من
الأرض إلى القمر) .. إلخ ثم توالى سلسلة
رواياته المسماة (رحلات فوق العادة) والتي ضمت
أسماء مثل (الجزيرة) (ميشيل ستروجوف) ..
(سيد العالم) .. (عشرون ألف فرسخ تحت
الماء) .. إلخ ..

وقد قضى هذا الأديب العبقري حياته في رحلات
لا تنتهى على ظهر يخت خاص به لأنه لم يحب في
حياته - على حد قوله - سوى البحر والموسيقا
والحرية .. ولا أظن أحداً يخالفه الرأي ! .. ثم إنه
توفي عام ١٩٠٥ م ، معلناً مصرع الخيال الساحر
الذى بهرنا جميعاً ... ، وكان عمره سبعة وسبعين
عاماً وقتها ..

وكلما حقق الإنسان فتحاً جديداً كالصعود للقمر
اكتشف في دهشة أن (جول فيرن) أو (هـ . ج ويلز)
أو حتى رسوم (ليوناردو دافينشى) التى لم تنفذ قط
كلها تنبأت - بنظرة مستقبلية لا تخيب - بهذا الفتح ..
إنها شفافية الفنان وإيمانه الكامل بملكات العقل
البشرى ، بالإضافة إلى قدرته السحرية على الحلم ..
إن كتاب الخيال العلمى أطفال كبار .. ولهذا يأخذ
النقاد على كتاباتهم خلوها من البعد الإنسانى ... وهذا

شئ طبيعى بالنسبة لطفل يحلم ...! لا أحد يطالبه
أن يحلم بصق ولكن بإمتاع ..

على أن هنالك ملحوظة أرجو ألا تقلل من حماس
القارئ وإنبهاره بهذه الرواية .. هي أنها لا يمكن أن
تتحقق .. على الأقل بصورتها الحالية ...! إن كاتباً
مدققاً (*) فى التفاصيل العلمية يؤكد أن هذا مستحيل ..
لأن النزول فى أعماق الأرض لمسافة ثمانية أمثال
يزيد الضغط الجوى بمقدار ٠.٠٠١ مم هو عليه ،
وبالتالى على مسافة ثمانية وأربعين كيلومتراً -
العمق الذى بلغه بطلا القصة - يكون الضغط الجوى
أكبر بأربعمائة مرة .. وتزداد كثافة الهواء ٣١٥
مرة ... على أنهما خلال أحداث القصة وصلا إلى
عمق ١٢٠ كيلومتراً ، وهو أمر مستحيل ولا يمكن أن
يتحملة بشر . ويقول الكاتب إن أكبر عمق يستطيع
الإنسان النزول إليه دون أن يصاب بأذى هو ٨,٩
كيلومتر حيث يتضاعف الضغط الجوى إلى ثلاثة
أمثاله ..

ملحوظة بسيطة نذكرها حرصاً على الدقة لكننا لن
نتركها تحرمنا من الاستمتاع بهذه الرواية الرائعة ! ..
د . أحمد خالد

(*) الكاتب الروسى (ياكوف بريلمان)

كان ذلك في يوم الأحد الرابع والعشرين من مايو عام ١٨٦٣ م ، حين اندفع عمى - البروفسير (ليندبروك) - إلى منزله الصغير رقم ١٩ الكائن في شارع (كونيشت) بمدينة (هامبورج) ..

كان أول ما فكرت فيه طاهيتنا (مارتا) هو أنها قد تأخرت في إعداد العشاء .. أما أنا فقد أدركت أن كارثة ستحدث إذا ما كان جالعا .. لأنه - بالفعل - أكثر الرجال نفادا للصبر في هذا العالم ..

صرخت المرأة البائسة في هلع :

- لقد عاد السيد !! ..

- بالفعل يا (مارتا) .. واعتقد للأسف أن العشاء لم

يعد بعد .. فالساعة لم تتعد الواحدة والنصف ..

سألتني (مارتا) في حيرة ..

- ولماذا عاد مبكرا هكذا ؟ ..

- سيحكى لنا بنفسه ..

- ها هو ذا قادم .. سأعود للمطبخ .. وأرجو أن

تسأله عن سر هودته المبكرة هذه .. وقل له إن العشاء ليس جاهزا ..

هكذا وجدت نفسي وحيدا .. ولم أجد لدى أية رغبة في أن أفسر أي شيء لهذا البروفسير (فاقد الصبر) .. لهذا أزمعت أن أهرب إلى غرفتي .. حين اندفع عمى إلى المنزل .. وقبل أن أفهم شيئا رمى عصاه في ركن الغرفة وقبعته على المائدة .. وصرخ :

- (أكسل) اتبطني !!

وقبل أن أحرك ساكنا .. دوى صوته وقد اكتسب رئيسنا فاقد الصبر إلى حد لا يوصف :

- ماذا ؟ .. أما زلت هنا ؟

لهذا وثبت من مكاني خلف هذا الرجل المرعب الذي اتجه إلى مكتبه ..

...

لم يكن (أوتوليدنبروك) رجلا سيئا ..

إلا أنه كان - كما لاحظتم - رجلا شديد العصبية يستحيل إرضاءه .. وكان أستاذًا في الجامعة يعطي محاضرات في علم (الجيولوجيا) يفقد فيها أعصابه بشكل منتظم ، ولم يكن يهتم كثيرا بما إذا كان طلبته يدرسون بجهد أو يفهمون أي حرف من كلامه أو ينجحون أو يرسبون ... لا شيء من كل هذا .. كل ما كان يعنيه هو أنه يستمتع بمحاضراته .. على أنه

— للأسف — كان يلقى أحياناً صعوبات في نطق بعض المقاطع العلمية الطويلة التي تأتي الخروج من فمه .. والتي تؤذي قائلها وسامعها على السواء ... وبالطبع كان علم (الجيولوجيا) يزخر بهذه المقاطع الشنيعة نصف اللاتينية نصف اليونانية .. من ثم كان يفقد أعصابه كثيراً !...

وقد أدرك تلاميذه السحر الكامن في لحظات عصبيته هذه ؛ لذا واطلبوا — في خبث — على حضور محاضراته .. ليضحكوا ..

على أن عمى — والحق يقال — كان رجل علم حقيقياً .. لو أنك ناولته صخرة .. أية صخرة .. سينظر لها .. ويتحسسها .. ويشمها ويقرعها مصغياً لصوت القرع ، ثم يقول لك — في كل الحالات — أية صخرة هذه ومن أين جاءت .. من بين الستمائة نوع من الصخور التي يعرفها العلم حتى اليوم ؟.

وكان رجال العلم يثقون به ويستشيرونه في عديد من الأمور .. كان طويل القامة .. ناحلاً يبدو وهو في الخمسين كأنه في الأربعين من العمر ، وكانت عيناه الواسعتان تلتمعان خلف زجاج منظاره ، على حين يذكرك أنفه الطويل الحاد بنصل السكين .. ذلك الأنف

الذي شبهه الكثيرون بالمغناطيس ، وزعموا أنه يجذب الأجسام الحديدية .. لكنني أستطيع أن أؤكد لك أن هذا لا يحدث عادة !

وكان عمى ثرياً إلى حد ما .. وقد عشت معه في هذه الدار ونشأت معه وابنته (جرويين) والخادمة (مارتا) لأن أبوي قد توفيا ..

يجب أن اعترف لك أنني أهيمن حُباً بعلم (الجيولوجيا) ولقد وجدت سعادة حقاً في معاونة عمى في عمله ما بين الصخور والأحجار .. لقد كان يحبني حقاً برغم أسلوبه العجيب في إظهار هذا الحب ... في الواقع كان رجلاً لا يملك موهبة الانتظار .. يزرع الزهور ويجذب أوراقها كل صباح كي يعجل بنموها .. لهذا .. وحين ناداني لم يكن أمامي سوى شيء واحد أفعله .. أن أركض كالملسوع إلى مكتبه !..

• • •

كان عمى جالساً في متحفه — أعلى مكتبه — بين عينات الصخور المترامية هنا وهناك على (شيزلونج) كبير يمسك كتاباً في يديه ويرمقه في إعجاب عظيم ..

— ياله من كتاب !.. ياله من كتاب !

يجب هنا أن أنكر أن عمى كان عاشق كتب ..

— لقد وجدت هذا الكنز صباح اليوم في مخزن
كتب قديم ..

— رائع !

قلت لها دون أن أجد تفسيراً يبرر الروعة في كتاب بال
قديم غُلفاً بجلد أصفر متسخ ..

— هل ترى ؟ .. إنه بحال جيدة .. يفتح ويُلقى
بسهولة .. وبرغم هذا فعمرة ستة قرون !

وجدت من واجبي أن أقول شيئاً ما أدرى به
لامبالاتي :

— وما هو عنوان هذا الكتاب الرائع ؟

— اسمه ؟ .. اسمه (هايمس كرينجالا) للكتاب
الأيسلندي الأعظم (سنوري تورليسون) .. ويحكى فيه
تاريخ أمراء النرويج الذين حكموا (أيسلندا) ..
والكتاب كله مكتوب بحروف (رونية) .. تلك الحروف
رائعة الجمال التي كانت مستعملة في (أيسلندا) ..

وهنا .. سقطت لفافة صغيرة من الكتاب العتيق ..
وثب عمي — كما يمكنك أن تتوقع — ليمسك بها ..
والنقطة لها ... كانت ورقة طولها خمس بوصات ،
وعرضها ثلاث ، خطت عليها حروف غريبة ..

— إنها حروف (رونية) أيضاً .. ولكن ماعناها ؟ ..

كنت أومن أن هذه الحروف (الرونية) هي حروف
اخترعها أناس موهوبون .. كي يزدوا متاعب أولئك
البؤساء الذين لديهم ما يكفي من المتاعب .. لهذا
سررت لأن عمي لم يفهمها ..

كان عمي خبير لغات .. لا أعنى بهذا أنه يجيد الألفى
لغة المستعملة في العالم ، لكنه كان يعرف الكثير عن
معظمها ... لهذا كانت هذه المشكلة قديمة بأن تفقده
أعصابه ..

في هذه اللحظة انفتح الباب .. وظهرت (مارتا)
لنقول :

— العشاء على المائدة ..

كان رد عمي هو نيل من السحاب القام على رأسها
فولت الأديار .. وتبعته أنا إلى مقعدى المعتاد على
مائدة الطعام ..

انتظرت هنيهة ، لكن عمي لم يأت ...

لم أعتد منه أن يتأخر عن عمل هام كالعشاء .. وأى
عشاء ... عشاء هائل .. لهذا حرصت على أن أكل نصيبه
مع نصيبي ، على صوت عويل (مارتا) الطيبة التي
توجست شراً من كل هذا :

— لم أر شيئاً كهذا من قبل .. السيد (ليدنبروك) لم

يأت للفضاء ! لا أصدق ذلك .. ثمة شيء رهيب
سيحدث !.. كارثة !..

بالنسبة لى، كانت الكارثة هي أن يعلم عمى بما حدث
لعشائه ... وكنت أوشك على الانتهاء حين دوى صوته
كالرعد ينادينى .. فطرت إلى مكتبه ..

— اجلس ها هنا .. واكتب ..

أمرنى عمى ، فامتثلت على الفور ..

— سأملك الحرف الرومانى المقابل لكل حرف من
هذه الحروف (الرونية) .. وسنحاول أن نرى ما ينتج
من كل ذلك ..

بدأت أسطر مجموعة عجيبة من الكلمات التى لا معنى
لها ... وما إن فرغت حتى تناول عمى الورقة وشرع
بتأملها فى حيرة ..

— إنها ما يسمى بالـ (كربتوجرام) .. حيث يتم خلط
الحروف لتكوين كلمات بلا معنى لا تفهم إلا إذا أعدناها
لترتيب الصحيح ..

لم يبد لى كل هذا ذا معنى ، لكننى كنت أحكم من أن
أصارحه بذلك ... كان عمى يؤمن أن هذه الورقة كتبها
شخص ما ، أقتنى هذا الكتاب بعد تأليفه بأعوام عديدة ..
وبالتفتيش عن اسمه .. فى باطن الغلاف ، استطاع

أن يجده مكتوباً بحروف باهتة :

— (آرنيه ساكنوسم) !.. هذا هو اسمه .. اسم

العالم الذى أقتنى هذا الكتاب منذ ثلاثة قرون !..
أراهن أنه يخفى فى هذه الشفرة تفاصيل كشف مذهب
عرفه فى عصره .. لابد أن الأمر كذلك !..

وأشار نحوى فى لهفة :

— لن أكل ولن أنام حتى أحلّ طلاسم هذه الشفرة ..

وكذا أنت يا (لكسل) !

...

إن من يملك المفتاح يمكنه حلّ الشفرة .. ولكن أى
مفتاح ؟ كنت أنا شارد الذهن أرمق صورة (جرويين)
المعلقة على الحائط ، وكانت ساعتئذ فى (لاتونيا) فى
زيارة ما ، كنت أنا و (جرويين) نعشق بعضنا ، فى
صبر وهدوء رزين .. وكنا قد تعاهدنا على الزواج ،
لكن عمى لم يدرك شيئاً عن هذا ، لأن (الجيولوجيا)
جعلته عاجزاً عن فهم أشياء كالحب ...

كانت (جرويين) شقراء جميلة ، زرقاء العينين ،
ففيها شيء من الصرامة فى الواقع .. وكانت تحب
(الجيولوجيا) مثل أبيها ومثلنى .. وكم من ساعات
عذبة قضيناها ندرس معاً !.. وحين نفرغ كنا ننتزه على

شاطئ النهر ، نتبادل كلمات حالمة .. ونضحك ..

— لا معنى لهذا !

قالها عسى وهو يضرب المائدة بقبضته ، مما أعادنى لعالم الواقع .. كان غارقاً فى محاولات فاشلة لإعادة ترتيب الحروف .. وفى اللحظة التالية كان قد غادر الغرفة مندفعاً نحو الشارع بأسرع ما استطاعت قدماه .. وسمعت (مارتا) صوت الباب يُغلق بعنف هز البيت .. فصرخت :

— لقد ذهب !..

— بالفعل ..

— دون عشاء ؟..

— عزيزتى لن يحتاج السيد للأكل بعد اليوم .. ولن يأكل مخلوق فى هذا البيت بعد اليوم .. فلن يُسمح له بذلك !..

— إذن سنقضى جميعاً من الجوع !..

وكان كلامها صحيحاً أكثر مما تتوقعه !..!..

عدت للمكتب بقلب كئيب ، وشرعت أنسق بعض الصخور مفكراً أين عساه يكون ؟ .. تخيلته يخطو فى شوارع (لاتونيا) خطواته الواسعة آتياً بحركات عصبية .. قاطفا الأزهار .. ومفرغاً للطيور البرينة ..

أمسكت بالورقة ، وعدت أحاول ترتيب الحروف مفترضاً أن اللغة اللاتينية هى ما كتبت به الشفرة .. أجهدت نفسى حتى أن الحروف بدأت تتطاير متداخلة فى عقلى بدأت أحرك الهواء بالورقة .. وهنا تبدى لى بصيص من الفهم .. لقد وجدت الحل !..

• • •

لقد كان البروفسير محقاً فى ترتيب الحروف ، لكنه كان يحتاج لخطوة واحدة — مثل التى وجدتها بالصدفة — كى يجد حل اللفز ، والآن يمكننى أن أقرأ المكتوب على الورقة باللغة اللاتينية ..

وهنا انتابنى الأعراس .. هل هذا صحيح حقاً ؟.. هل بلغت الشجاعة بأحدهم هذا الحد ؟.. لا .. لن أدع عسى يعرف ، لأنه لن يكتفى بأن يعلم ما حدث ، بل سيصمم على أن يرى بنفسه .. لن يقاوم الإغراء .. وسيذهب ويأخذنى معه !.. عندئذ لن نعود أبداً !..!.. لو أنه تفحص الورقة وبدأ بحركتها ، كما فعلت ، لربما عرف السر .. يجب أن أحرقها !

اتجهت نحو المدفأة لألقى فيها بالورقة ..

وهنا فتح الباب ودخل عسى ..

استطعت بصعوبة أن أخفى الورقة معيذا إياها

لموضعها . وجلس عمى يواصل محاولاته - الفاشلة
حتماً - فى إعادة الترتيب لمدة ثلاث ساعات كاملة ..
ومر الوقت مملاً حتى غفوت فى مقعدى ..

صحوت فى الصباح لأجده مازال يكافح المستحيل ..
عيناه الحمراءوان ، ووجهه الشاحب ، أخبرانى بالكثير ..
بدأت أشعر بالحسرة من أجله ، خاصة وأنه كان منهمكاً
إلى درجة أنه نسي العصبية ! .. لكن أسبابى كانت
قوية .. إتنى أعمل من أجل مصلحته .. ولهذا لن أنهى
معاناته أبداً .. دعه يجد السر وحده إذا استطاع ..

لكنى لم أتوقع إلى أى مدى ذهب عمى ..
حين استعنت (مارتا) للذهاب لجولتها المعتادة فى
السوق ، لم تجد مفتاح الباب الأمامى .. وهنا فهمت ..
لقد أخذ عمى ، ليجعلنا نتضور جوعاً عقاباً لنا على
عدم فهمه للشفرة ! .. لقد صرنا مسجينين مع عمى داخل
المنزل إلى أن يجد حلاً ..

الساعة الثانية عشرة والجوع يعزقتى .. لكنى سأظل
صامتاً ..

الساعة الثانية ظهرًا .. بدأت أفقد صبرى وبدأت أرى
الأمور بشكل مختلف .. لربما لن يصدق عمى حرفاً من
المكتوب فى الورقة .. سيعتبرها مزحة سخيفة .. بل إذا

ترضنا أنه صدق المكتوب وصمم على القيام بهذه
الرحلة ، فمن الممكن دائماً منعه .. أنا سامنعه ..

لا جدوى إذن من الموت جوعاً ..
على أن أخبره بالسر ، لكن بشكل غير مفاجئ حتى
لا أثير ريبتة ..

التفت عيناه بعينى فى هذه اللحظة فلاحظ - بلا مرأى -
شئنا غير معتاد فى نظراتى .. أمسك ذراعى بحدة ونظر
لى ثانية ، كأنما يسأل سؤالاً .. ولم يكن باستطاعته أن
يسألنى سؤالاً أكثر وضوحاً ..

حركت رأسى بمعنى " نعم .. لقد وجدت مفتاح
الشفرة .. "

هز رأسه بمعنى " أنت معنوه " ، فحركت رأسى ثانية ،
مما جعل عينيه تلتمعان ، وقبضته تزداد إحكاماً .
أخشى إن صارحته بالحقيقة ، أن يهشمنى ، تعبيراً عن
عرفانه بالجميل ..

ناولته قطعة الورق التى عليها الكلمات التى أملاها
على .. وهمست :

- اقرأها ..
- لكنها بلا معنى ..
- ليس إذا قرأتها بالعكس .. من آخر حرف حتى
أول حرف ..

أصدر عمى صيحة فرح جنونية .. وبدأ يقرأ الورقة
بصوت مرتجف بادنا من آخرها .. وكانت بلغة لاتينية
رديئة حقاً ، لكنها واضحة ..

" انزل من فوهة (يوكول) (سنيفل) الذي يمسّه ظل
(سكارتاريس) بنعومة قبل بداية شهر يوليو أيها
المسافر الشجاع . وستصل إلى قلب الأرض كما فعلت
أنا " (أرنيه ساكنوسم)

ما إن قرأ عمى هذه الرسالة حتى وثب في الهواء
كمن أصابه مس ، وشرع يتقاذف في الغرفة ، ويركل
قطع الأثاث .. بل - صدق أو لا تصدق - يطوح أحجاره
الثمينة في الهواء ويتلفها .. ثم بدأ بهذا أخيراً :

- كم الساعة الآن ؟

- الثالثة بعد الظهر ..

- إننى لم أتعش أمس .. أريد شيئاً أكله حالاً !..

وبعدها ..

- بعدها ..؟

- مساعد أكبر حقائبى !..

- ولماذا ؟

قال البروفسير - عديم الشفقة - وهو يهرع لغرفة
الطعام :

- ولتعذ أنت أيضاً حقيبتك !..

عند سماع هذه الكلمات غاص قلبى فى قدمى !..

* * *

٢ - الرحلة ...

برغم هللى تظاهرت أمام عمى بأتنى موافق .. كنت
أدرك أنه لن يصغى إلا لمنطق العلم .. وكان هذا
المنطق فى صفى .. رحلة لقلب الأرض !.. ياله من
هراء !.. يمكننى أن أناقش هذا فيما بعد .. أما الآن
فتناول الطعام هو مهمتى الأساسية ...

وجلسنا نلتهم الطعام بينما عمى يثرثر ويمزح .. بل
لقد ألقى - تخيل هذا - بعض الفكاهات ، الأمر الذى لم
أعتده من قبل ..

وبعد أن فرغنا ، دعانى إلى مكتبه ..

قال لى وهو يجلس على المائدة :

- لقد قدمت لى الجواب يا (أكسل) فى الوقت الذى
كدت أياأس فيه ، إنك لولد ذكى ، وإن أتسى صنيعك هذا
ما حييت ..

ثم أردف :

- ليكن هذا السر بيننا .. ثمة علماء بفارون منى
ويرغبون فى سرقة هذه الرحلة .. لهذا لا ينبغي أن

يعلموا شيئاً عنها حتى نعود ..

— هل أنت واثق أن هناك الكثيرين ممن يرغبون

فى ذلك ؟

— حتماً ..! من ذا الذى لا يرغب فى كسب الشهرة

والمجد ؟

— هذا هو ما أعنيه . لم لا تكون هذه المخطوطة

مجرد دعاية حمقاء ؟

كنت — بالتأكيد — غير موفق فى كلمتى الأخيرة .

وتوفعت أن ينفجر فى وجهى . لكن ابتسامة وديعة

تلاعبت على ثغره وقال :

— هذا هو ما سنتحقق منه بأنفسنا !

استلعت ريقى .. وقلت :

— أريد أن أعرف معنى هذا الـ (يوكول)

والـ (سنيفل) والـ (سكارتاريس) ..

— لا توجد صعوبة فى ذلك . من المصادفة أننى قد

ابنت هذه الخريطة الرائعة لـ (أيسلندا) من صديق لى

فى (لايتزش) وعليها يمكننا أن نرى ما نريد ..

انظر إلى هذه الجزيرة وبراكينها تجد أن كلاً منها يحمل

اسم (يوكول) أما (سنيفل) فبركان ارتفاعه خمسة

الاف قدم على لساحل الغربى (لأيسلندا) .. وهو الذى

يقودنا لقلب الأرض ..

— لكن هذا مستحيل .. لابد أن فوهته مليئة بالحمم

والصخور الملتهبة ..

— وماذا لو كان خامداً ؟ .. إن عدد البراكين النشطة

فى العالم لا يتجاوز ثلثمائة . أما البراكين الخاملة ،

فعددها يفوق ذلك بمراحل .. ومن بينها (سنيفل) الذى

لم يعد أحد يسميه بركانا ..

— وما هو (سكارتاريس) هذا ؟

تهد عمى :

— لقد كان (ساكنوسم) خارق الذكاء .. لابد أن

(سنيفل) له عدة فوهات ؛ لذا احتاج الرحالة لتحديد

أيها تقود لمركز الأرض ..! ولذلك أخبرنا أنه فى نهاية

(يونيو) نرمى إحدى القمم — (سكارتاريس) —

بظلها فوق الفوهة المطلوبة . أليس هذا واضحاً ؟

أسقط فى يدى — إذ من الواضح أن عمى يملك إجابة

على كل سؤال ، إلا أننى ظلمت أمل أن أجده حججاً

علمية ضد الرحلة ..

— إن العلم يؤكد أن هذه الرحلة مستحيلة .

لجلب عمى فى سخرية :

— العلم يقول هذا ؟ آد ياله من شيء مزعج

— العلم أنيس محرنا أن يقول لك العلم إن الأشياء
الممكنة مستحيلة...؟

— إن العلم يقول إنك كلما توغلت لأسفل اردت
الحرارة — حوالي درجة مئوية مائة سبعين فما ، ولما
كن مركز الأرض يبعد أربعة آلاف ميل عن السطح ،
فلند أن حرارته تسع عشرين ألف درجة ، أي أن
أصلب الصخور والمعادن تحول إلى غاز متهب .
فكيف تريد أن تزور مكانا كهذا ؟..

— إن هي الحرارة التي تفرعك ؟ — دعني أقل لك
بـ (أكسل) إن العلم لا يعرف شيئا أكيدا عن الأرض .
من زمن ليس بالبعيد ، كنا نظن أنه كلما ابتعدت عن
الأرض كنت انخفضت الحرارة . الآن نحن نعرف أن
الحرارة لا تنخفض في أي مكان بعيد عن الأرض أقل
من أربعين أو خمسين درجة تحت الصفر . لماذا
لا يكون هذا الحال مع الحرارة ؟ — أن تكون هناك نقطة
لا ترتفع بعدها الحرارة مهما انخفضت ... ثم إن هناك
منحوصة أخرى — لو كنت حرارة تسير كما تصفون
لأحترت الأرض — إن معظم عماء (المحيطات)
يؤمنون أن قلب الأرض لا يحوي غازات ولا ماء والا
كان وزن الأرض أقل مرتين مما هي عليه ..

— إنك تجعل الأرقام تثبت ما تريد ..

— تثبت الحقائق بآبني لا تنكر أن عدد البراكين
في تناقص مستمر ، وهذا على عكس المتوقع لو كان
قلب الأرض غازا ملتهبا ، وفنما ستتحرك قشرة
الأرض كالبحر إبان المد والجزر تجاه القمر ، ولكانت
الزلازل تحدث طيلة الوقت ..

كنت قد بدأت أتبين شيئا من الصواب في كلام عمي
حين قال لي وهو يرتتظ ظهري :
— إنني أؤمن أن باطن الأرض ليس حارا . لكن
دعنا نر ذلك بأنفسنا

• • •

تركت عمي وبدأت أزرع شوارع (هامبورج) شارع
الذهن ملتهب الوجدان ، هل أنا مقتنع حقا أم أن كلماته
هي التي زينت لي هذه الفكرة المحنونة ؟ — هل
ما سمعته كلام رجل معتوه ، أم نبوءة عالم عبقري ؟
أين تبدأ الحقيقة وأين تنتهي ؟

كنت أسير عبر شاطئ النهر منحها للريف إلى
(أنتونيا) ربما على أمل أن ألقى (جروبيو)
وبالفعل رأيته في الطريق لدارها
صرخت في دهشة :



كنت أسير عبر شاطئ النهر متحديا للريف (بن (أنوب) رعى عني

أمل أن ألقى (جروبين) .. وبالفعل رأيتها ..

— (أكمل) ١.. لقد جئت لتلقاني ...؟

ولكن ما إن رأت وجهي حتى توجست شراً

— ماذا حدث ؟

حكيت لها القصة بأكملها فلم تعلق لدقيقة كاملة .. ثم

قالت :

— (أكمل) .. ستكون رحلة عظيمة !..

— !..

— نعم .. رحلة تفخر بها .. وستجلب لك الشهرة ...

لكم أتمنى لو جئت معكما ، لكنني فتاة معدومة الحيلة ،

ستزيد متاعبكما فقط ..

لا يمكن أبدا فهم هؤلاء النسوة .. فهن إما أن يكن

مثال الجبن ، أو ذروة الشجاعة ، ولا دخل للمنطق في

هذا ..

— لربما غيرت رأيك غدا ..

— غدا — عزيزي — سأقول نفس الشيء .

سبرنا متشابكي الأيدي دون مزيد من الكلام . كنت

منهكا من جرأ الأحداث الأخيرة ، إلا أنسى واستيت

نفسى بأن (يوليو) لم يزل بعيدا ، ولم يزل من الممكن

أن تقع أشياء وأشياء تجعل عمى يعدل عن هذه الرحلة

المشنومة ..

• • •

ولكن ما من عدت للبيت حتى فوجئت بعمى بصرخ
وجرى من بين رجال يحملون البضائع للبيت . وقد بدا
على خادمتنا العذوة أنها على حافة الجنون
— هلم يا (أكسل) ! تعال ! يالك من مزعج . !

ألم تحزم حقائبك وترتب أوراقى بعد ؟
أصابنى الذهول ..

— إذن نحن ذاهبان ؟

— حتماً ! ما يعنيه حين تذهب للراحة ونهمل
استعدادات السفر ؟

— حقاً ذاهبان ؟

— طبعاً بعد غد فى الصباح الباكر ..

لم احمر سماع المريد ، فهرعت لغرفتى حين وجدت
(حروس) قد سقننى وهنت فى حماس

— إن أمى رحيل علم حق لا يخيفه شيء . ويجب
عليك أن تكون فخوراً به يا (أكسل) . سيصبح أنا
واقفة . ستصيران شهيرين ، وستغدو رجلاً حراً فى
كلامه .. حراً فى أفعاله .. حراً فى ..

وصمت . إلا بنى أدركت ما تعنيه . شعرت بشيء
من الحماس ، إلا بنسى حتى هذه اللحظة لم أكن
قد اعى متعب فكرة الرحيل . وفى كية أمسكت يد

(جروبين) مقتاداً إياها إلى مكتب عمى

سألت عمى فى تردد :

— عمى .. أريد أن أفهم لماذا العجلة .. ؟

— لماذا ؟ .. لضيق الوقت طبعاً ..

— لكن اليوم هو السادس والخمسون من (مايو) ..

ولم تزل نهاية (يوليو) ..

— وهل تظن أيها المعتوه أننا سنبلغ (أيسلندا)
بهذه السرعة ؟ إن هناك سفينة واحدة بين
(كوبنهاجن) و (رايكيافيك) فى الثانى والعشرين من
كل شهر . ولو انتظرنا حتى (يونيو) سنصل إلى
(رايكيافيك) متأخرين بعد أن يسقط ظل (سكارتاريس)
على الفوهة .. يجب أن نبلغ (كوبنهاجن) بأقصى
سرعة ممكنة ..

وهكذا حزمت حقائبي بمعونة (جروبين) التى كانت
هادئة ، كأسى فقط ذاهب إلى المدينة المجاورة . كيف
أتركها .. كيف ؟

مرّ اليوم التالى فى الاستعدادات والمزيد من المؤن
والبضائع تتراكم فى الدار .. ثم نمت كحجر على
فراشى . وكانت ليلة سوداء حلت فيها بالبروفسير
يجرئى لأعمق أعماق الأرض . وأنا أهوى . أهوى ..
أهوى فى حفرة عميقة بلا قرار ..

وفي الخامسة صباحا ذهبت لغرفة الطعام لأجد عمى
يلتهم إفطاره في عجلة . كانت معدتي متقلصة والإنهاك
يفرو بدني ، في الخامسة والنصف وصلت عربة لنقل
متاعنا إلى محطة القطار ..

كان عمى يودع (جرويين) حين التفتت نحوي .

وهمست :

— عزيزي (أكسل) . أنت راحل الآن . لكن عند

عودتك ستجد زوجتك

لم استطع أن أقول شيئا سوى :

— وداعا يا حبيبتي (جرويين) ..

وفي السادسة والنصف وصلنا المحطة وفي
السابعة تحرك القطار ..

...

بعد وصولنا إلى (كيل) ركبنا القارب إلى
(كوبنهاغن) وكان عمى يوشك على الجنون ويكاد
يدفع انقارب إلى وجهته دفعا .. في (كوبنهاغن)
توجهنا إلى متحف (الجيولوجيا) حيث قبلنا
البروفسير (تومسون) الذي كان يعرف عمى
ونقد أذى الرجل لنا حفاوة واضحة . وشرع يفتش
عن قارب يقنا إلى (آيسلندا) حتى وجد واحدا اسمه

(فالكيرى) كان سيرحل في الثاني من (يونيو) إلى
(ريكيافيك) ..

شرعت أنا وعمى نستكشف المدينة .. كنت أنا كطفل
منبهر بكل شيء ، أما عمى فلم يبد اهتماما سوى ببرج
كنيسة عال على الجزيرة التي تشكل الجزء الجنوبي
الغربي من (كوبنهاغن) .. لم أجد ما يسترعى
اهتمامي سوى أن برج الكنيسة شديد الارتفاع أكثر من
الآرام ..

— هلم نصل لأعلى ..

قالها عمى وهو يجذبني خلفه ..

— لكن هذا قمين بأن يثير لدى الدوار .. أنا لا ارتاح
للمرتفعات ..

— هذا سبب كاف للصعود .. يجب أن نعتاد الأماكن
الشاهقة ..

— لكن ..

— هيا ..

وهكذا لم أجد بدا من الصعود .. درجة بدرجة .. مائة
وخمسين درجة .. بعدها بدأت أشعر برأسي يطفو وبأن
البرج يهتز مع الريح .. اضطررت أن أزحف على ركبتي
ويدي مغلقتا عيني بصرامة .. حتى وصلنا إلى القمة ..

— انظر لأسفل .. يجب أن تعتاد ذلك ..

فتحت عيني فرأيت المنازل كاللعاب . وفوق رأسي
تحركت السحب مارة عبر السماء لكنها بالنسبة لى
كنت ثابتة خيل لى أن الأرض وبرج الكنيسة هما
اللذان يتحركان ، وكنت أرى ساحل (السويد) من
بعيد ..

استمر هذا الدرس ساعة كاملة .. وحين سمع لى
عمى خبراً أن انزل .. وحين لمست قدمائى أرض
الشارع طنت لوحة أننى قد فقدت القدرة على المشى
إلى الأبد .. ، ولعدة خمسة أيام واطبنا على هذا العمل
حتى أننى — بالرغم منى — بدأت أتعلم كيف أنظر
لأسفل دون أن يصرعنى دوار المرتفعات
وهكذا صرنا مستعدين لركوب الـ (فالكيرى) إلى
(أيسلندا) ..

استغرقت رحلتنا عشرة أيام عبر (السبنور) .
ساحل السويد (سكدن) ثم بحر الشمال الرهيب ..
بعدها عبرنا ساحل (أيسكلندا) وجزر (فارو) ،
وفى اليوم الحادى عشر رأينا ساحل (أيسلندا) .
نظر عمى إلى الساحل الشمالى وأشار فى لهفة
إلى جبل عال له قمتن يغطيهما الجليد الأبدى .. وهتف :

— (سنيفل) ! .. (سنيفل) !

ما إن نزلنا إلى الشاطئ حتى انتقينا برحر حسن
المحيط وكان هو حاكم (أيسلند) البارون (ترمب
بنفسه . وشهد صافحه عمى وتبادل معه حديث
ساند الماركيزة ثم أفهم منه حرفاً بطبيعة الحال ، إلا أننى
استنتجت أن الحاكم يعد عمى بأن يمدل قصارى جهده
لنعم

كما نعرفنا على رجل لطيف الشيمائل هو السيد
(فريريكسون) مدرس العلوم فى مدرسة (ريكستك)
الذى قدم لنا عرقيين فى درسه كى يفيد فيهما
قال عمى فى سرور حين صرنا وحدنا :
— هلم يا (أكسل) ! الأمور تسير على ما يرام
ولقد مرّ الجزء السيئ من رحلتنا ..
— ماذا تعنى ؟

— لم يعد أمامنا سوى أن (نهبط) !
— لربما كنت على حق ولكن كما سنهبط علينا أن
نصعد
— هذا لا يثير قلقى البتة سأنهب لنمكنة باحثاً عن
كتابات لـ (ساكوسم) لاسى — ولان — وحدث بعضها
— ألن تتجول فى البلدة أولاً ؟

— كيف تنوى الوصول إليه ؟

— بالبحر طبعاً ..

— مستحيل .. إن كل القوارب مشغولة بالصيد فى الناحية الأخرى من الجزيرة ، لهذا ينبغي الذهاب برّاً .. طريق طويل لكنه مسهل .. وعندى لك دليل مأمون الجانب ويمكنك الاعتماد عليه .. إنه شخص ماهر ويتحدث الدانمركية بطلاقة ..

• • •

استيقظت فى الصباح التالى على صوت عمى يتحدث الدانمركية مع أحدهم .. رجل طويل القامة ، متين البنيان وله وجه بسيط قسيم ... كانت عيناه زرقاوين فى حين تتسدل خصلات شعره الأحمر على كتفيه ... وكان الهدوء يشع من وجوده ، كأنما لا يمكن لشيء فى الكون أن يزعجه ..

كان اسمه (هانز بايلكى) .. دليلنا القادم فى رحلتنا ، وكان على النقيض من عمى فى كل شيء ، إلا أنهما لم يختلفا حول الملاحة والألعاب بئناً .. فواحد مستعد تماماً لقول أى أمر وواحد مستعد تماماً لدفع أى أجر .. صفقة بسيطة جداً كما ترى .. تم الاتفاق على أن يقودنا (هانز) إلى قرية (ستالى)

— نعم .. إن ما يهمنى فى (أيسلندا) ليس ما هو

فوق الأرض بل ما تحته !!

عنى أنه عاد بعد ساعت وقد بدت عليه مخايل الاحباط ، لأنه لم يجد أية كتب لـ (ساكنوسم) هناك ، وأحبرنا مضيفنا السيد (فريدريكسون) أن الكنيسة قد اعتبرت ذاك الرخالة عدواً لها ، وأحرقت كل كتاباته ، الامر الذى فسر لنا سر كتابته رسائله بالشفرة ..

وهنا — تدهشنا — اقترح السيد (فريدريكسن) على عمى أن يقوم باستكشاف البركان المسمى (ستيفل) لأهميته ..

— هل هو خامد ؟

— نعم .. منذ خمسة قرون ..

— حسن .. ربما كان من الواجب أن نذهب لأراه ..

— أقلت لى ما اسمه ؟

— (ستيفل) ..

كدت أنفجر ضحكاً وأنا أشاهد عمى يتصنع الجهل لئلا يرى لهفته المجنونة لرؤية البركان ، خاصة والفرصة قد حاءته على طبق من الفضة ، ودون إشارة الشكوك ..

سأله السيد (فريدريكسن) ..

من سطح البركس وكانت المسافة اثنتين وعشرين
ملا تلك المسافة إلى قدر عمى اسما منقطعيها في
يومين إلا أنه حين أدرك أن العمل الذي موكب يساوي
أربعة وعشرين ألف قدم ، فهم أن الرحلة لن تفر عن
أسبوع كامل !

وحصلنا على ربعة حيول . اسير لى ونعمى وثنين
بمذبح . اما (هدر) فسيبقى كما عهدت دوما ، وقد
رفض أن ينال أجراً قبل أن تصل ..

— رجل طيب ..

قالها عمى وأردف :

.. لكنه لا سر كى أو محد ينظره بعد رجعتنا !

— هل نغنى أنه سينزل معنا إلى ..؟

— نعم يا (أكسل) .. إلى مركز الأرض ...!

• • •

٣ — البركان ...

قمر الرحيض بدأنا نرتب متاعنا والأشياء التي
سحبناها معنا . وكان من بين ما هو حدير بالذكر

١ — ترمومتر يمكنه القياس حتى مائة وخمسين درجة
مئوية .. وقد بدا لى هذا أقل مما يحب وأكثر مما يحب .
أقل من درجة حرارة مركز الأرض كما أتوقعها . وأكثر
من أى حد يمكننا تحمته قبل أن نحول لشواء !

٢ — جهاز برونومتر خاص لقياس الضغوط الهائلة
التي تنتظرها .

٣ — جهاز كرونومتر يرينا الزمن حسب موقع
(هامبورج) .

٤ — بوصلتان .

٥ — مصباحان كهربائيان مأمونان وسهلا الحمل ..
وكان معنا بندقيتان ، لا أرى مبرراً لحملهما ..
وسنم من الحال .. وقنس ومطرفة .. أما انطعم فكان
في صورة مسحق ولحم مقد يكفينا نحو ستة شهور

ولم نحمل ماء ، لأن عمى كان واثقاً من المياه
الجوفية !

من الصعب أن أتذكر كل العجائب التي حملتها
معنا . إن عمى لم ينس شيئاً حتى النقود ! لقد حمل
معه مبلغاً كبيراً ، كأنه كان يتوقع وجود محلات في
مركز الأرض ..

في الليلة الأخيرة ودعنا مضيفنا . وفي الساعة
السادسة صباحاً ، كان (هانز) ينتظرنا بهدونه
المعهود لنبدأ رحلتنا نحو المجهول

• • •

شرعت أتأمل معالم الطريق شاعراً بنشوة .. أي
خطر هنالك ؟

كل ما علىّ هو أن أقطع هذا البلد العجيب .. واتسلق
بركاناً خامداً وأنزل عبر فوهته مثلما فعل
(ساكنوسم) الذي - وأنا واثق من هذا - وصل إلى
قاع البركان فطن أنه وصل لمركز الأرض . هذا هو كل
شيء . إذن فلأضع برحلتى هذه ولا أعبأ بالباقي ..

كان (هانز) يسبقنا في السير عبر حقول حاولت جهدها
كي تكون خصراء ، إلا أنها فضلت في الوصول إلا إلى
الثون لأصفر . ومن بعيد تتراءى الهضاب يكسوها

الجليد ... الطريق يتعرج ، لكن خيولنا تعرف أفضل
انطرق للسير وتتحرك برشاقة وخفة ..

- حصان طيب ! - حصان طيب ! - سترى يا (أكسل)
أنه ما من شيء أكثر روعة من حيول (أيسلندا) ..
لا شيء يوقفها .. لا البرد ولا العواصف ... فقط
لا تضايقها .. دعها بحريتها وستقطع بك ثلاثين ميلاً
في اليوم ..

- هذا يناسبنا .. ولكن ماذا عن دليلنا الباس ؟
- لا عليك . هؤلاء الرجال لا يشعرون بالأرض
ولا يتعبون أبداً .. وحتى إذا ما تعب مساعيره جوادي
ولمضى أنا ..

• • •

كانت الساعة تقترب من الثانية عشرة ظهراً حين
وصلنا إلى قرية تدعى (إيولبرج) .. ومن هناك بدأتنا
نتبع طريقاً ضيقاً ، ما بين البحر والمرتفعات .. في
الساعة الرابعة عصرًا صادفتنا عقبة . هي لسان من
البحر يتغلغل عبر البابسة وكسأت أمواجه تصطدم
بالصخور الشامخة على جانبيه ، ولئن كانت حيادنا جياداً
طيبة إلا أنني لم أدر كيف يمكنها العبور ، قلت لنفسى :
- لو كنت نكية حقاً فلن تحاول أصلاً .

الآن عمى لم ينتظر بل حاول العبور بحصانه
ابى الحصان أن يتحرك .. قال له عمى (نعم) إلا أن
الحصان قال (لا) ... ازداد جنون الرجل وضرب
لحصان الذي حاول أن يقذفه من على ظهره ، ثم أنه
وحد ان الفضل أن ينحنى على ركبتيه وينسل من تحت
راكبه تاركاً يده واقفا على الأرض ...

حس حور عمى إلا أن (هانز) رمت على ظهره قائلاً
— فارسا ..

— قارب ؟ .. أين ؟ ..

أسار (هانز) إلى قارب على مصافاة من .

— لماذا لم نقل ذلك ؟ . فنذهب لنأخذه .

— نيفاتن ..

— آه ! .. يحب انتظار المجد إذن ..

وهكذا — فى السادسة مساء — وصننا قرية
(جردار) — ثم تكرر السماء مظلمة . لأن الشمس
لا لعب عن السماء فى (أيسلندا) طوائى شهرى يونيو
ويوسو حتى فى الليل . وفى أحد الاكواح قضينا ليلتنا
نتعاون التحرك مع أول أنصام الفجر ..

— الاحساس بانوحشة بتريد ونحن نجت السير .
مع هات سحر ولاحيوانات .. فقط طير هنا أو هناك

يخلق نحو الجنوب ..

وفى قرية اسمها (الفئاتس) قضينا ليلة أخرى
كالالهالك يغتنى ، أما عمى فلم يشك إطلاقاً ، مما
أثار إعجابى . أما عن (هانز) فكان ينظر للرحلة كلها
على أساس أنها نزهة شيقية ..

واستمرت الرحلة عبر خليج (فاكسا) ثم
(بودير) . وكان (هانز) قد اتفق مع عمى على أن
ينال جزءاً من أحره فى كل مساء سبت ، لذا — وكان
اليوم السبت — نقده عمى الجزء الأول من الأجر ..
وشرعنا نواصل رحلتنا ، بينما كان عمى يهمس ما بين
أسنانه طيلة الوقت .

— آه ! (سنيقل) (سنيقل) العظيم ! البوابة

لنى سنقودنا إلى مركز الأرض (ساكنوسم) !

أبها العظيم .. نحن هنا ..

وعلى هذ الممول وصلنا إلى (ستاس)

صارح عمى (هانز) بأنه يزعم التسلق إلى البركان
والنزول إلى القاع عبر فوهته مهما كان بعد هذا القاع
لم يبد (هانز) فارقاً ، لأن كل الأماكن — كما يبدو —
تساوى عنده . أما أنا فقد كان الهلع يقتلى
لكن أول التراجع قد فات منذ فارقنا (هامبورج) إن

الخاطر المربيع الذي انتابني هو أنا قد نتسلق (سنيفل) ..
وقد تنزل من فوهته . وقد نصل لمركز الأرض كما
فعل ذلك المخبول (هاكنوسم) لكن ما هو الضمان أن
هذا البركان لن يتور ونحن فيه ؟ نعم هو نائم منذ
عام ١٢٢٩ ولكن هل هذا يثبت أنه لن يصحو غدا ؟
لا أحب كثيراً - وأنت توافقني غالباً - فكرة أن أجد
نفسى مقدوها إلى عنان السماء في بحر من الحمم
الملتهبة .

وهكذا أزمعت أن أفضي لعمى بمحاوفاي ، ولكن بشكل
لا يوحى له أنتي مذعور ، بل أنتي — فقط — أريد أن
أتعلم أكثر عن رحلتنا .. إلا أنه لشدة دهشتي لم يثر .
وقال :

— لقد فكرت في ذلك كثيرا ..

ماذا ؟ لكن هذا معناه كلا . لن يتراجع هذا الرجل أبداً .. إن هذا أجمل من أن أفكر فيه ... إلا أنه أردف :

— إن البراكين لا تنور هكذا فحياة دون علامات
إبذار ، ولقد سألت الكثيرين هل هناك منذ وصلتنا .
والنتيجة سلبية . لم يعط (سنيفل) أية علامات تشير
بتجدد ثوراته ..

ثم انه اشار الى بحار ساخن يخرج من بين الصخور
(وهو الشيء الذي جعلني أميل لوجهه نظري
المذعورة) وقال :

— هذا البخار هو الدليل على صدق كلامي .. لن
نخشي شيئا ..

— ماذا تعني ؟

— حين يوشك البركان على الانفجار ، يخرج
هذا البخار بقوة أكبر من الفوهة ، وليس من بين
الصخور ، أما والبخار يخرج بقوة المعتادة من بين
هذه الأحجار التي يثور (سنيقل) في المسنقل
القريب .. !

لقد رجع عمي كعادة ولم أعد سيد مصيري

وهكذا . في اليوم الثاني والعشرين من (يونيو)
في الساعة صباحا بدأنا رحلة المسنقل إلى فوهة
(سنيقل) ..

• • •

بينما ارتفع (سنيقل) خمسة آلاف قدما ولقد
سرعا بصعد سفحه واحدا خلف الآخر مما جعلنا نبدل
الكلام مستحيلا ..

كان الطريق يربط صغوة ويحدر لاعلى بزاوية أشد

هذا إلا (هانز) كان يمشي في سلاسة كما
كانت الأرض مسطحة بحبات رات مخفر من عود
يميب أو يسر خلف صخرة كبيرة ، وأحيانا كان يصع
بعض الأحجار فوق بعضها ، ليحفر منها علامات عند
عودتنا ..

كانت فكرة لا بأس بها لكنها — كما عرفت —
بعد — لم تكن ذات نفع ! ..

توقف بعد ثلاث ساعات لتناول صبح لغيمت والراحة
الأمر الذي لم يرق لعيني لدى أنهم طعموه في عهده
ثم وصنا المسير الذي عدا شديدا لصعوبة ، مما
اضطربنا إلى السير في دروب متعرجة ، وكان معنا ثلاثة
حماني من التوضيين شرعوا يقدون بعضهم البعض
بعضهم — أم عمي فكان يتنقل برشاشه وحملة ، مما
جعلني أدرك أن له باعنا طويلا في تسلق الجبال .

انها ساعة مساء . وقد بلغنا ارتفاع قدره ٣٢٠٠
قدم فوق سطح البحر ، الجليد من حولنا والبرد يتزايد .
والرياح نهب عاصية ظنبت عمي من (هانز) التوقف
لكن دليلنا قال :

— أوقفنا فوز ..

قال عمي مقسرا :

— نه ينبغي أن نواصل الصعود . ولكن لماذا ؟
— ميستور ..

عندئذ هب الحمالون جميعاً في زعر حقيقى :

— يا .. يا .. ميستور !..

— ماذا يعنون ؟

وها انتار عسى إلى كتلة من الصخور والغبار
اسرعاتى تتطاير فى الهواء عبر حاب الجبل . وكانت
هذه الكتلة تسبح نحونا — ما بسموه بالشفة الأيسلندية
(ميستور) — ولم يكن ثمة داع لتعزيد من الكلام لانا
هرعنا خلف الجبل متوارين . على حين هوت هذه
الكتلة على المكان الذى كنا به منذ دقائق . ونولا
تحذيرهم لغدونا غباراً تذرؤه الرياح ..

• • •

كانت الساعة هى الحادية عشرة مساءً حين وصلنا
بى لقمة .. وكان البرد والجوع يمزقاتنى . بالإضافة
الى أن نقص الاوكسجين جعل التنفس مستحيلاً . وعند
قدمى كانت شمس منتصف الليل ترسل أشعتها اللواهنة
فوق الجزيرة ..

مع تناوئ وحبة بسيطة ثم غفونا .. لعنه أفضل نوم
حظيت به من رمن بعد برعد برودة الجو . نوم بلا احلام

وعلى الصباح أخبرنا (هانز) بالاسم الذى يطلقه
سكان (أيسلندا) على القمة التى كن فوقها . الاسم
الذى توقعته أنا وعمى ..

كان اسمها (سكاتاريس) !..

• • •

وبدأنا النزول من القوهة ..

كان اتساعها حوالى ثلاثة أميال . ويمكنك أن تتخيل
منظرها حين تملؤها النيران والصخور الملتهبه !. أم
القاع — كما بدا لنا — فلم يكن ليزيد على خمسمائة
قدم ، لهذا كان الانحدار سهلاً ويمكن السير عليه دون
جهد .

سار (هانز) فى المقدمة وتبعناه وقد ربطت بعضنا
بالبعض بحبل طويل حتى إذا ما انشقت الأرض الحليبية
تحت قدمى أحداً أنقذه الباقون . الا أن (هانز) كان
يتحسس الأرض بعصاه للاطمئنان قبل كل خطوة وهو
يشعر بالدهشة من أنه لم تحدث مصائب حتى هذه
اللحظة على عكس ما اعتاده !..

وصلنا لقاع البركان . ومن فوق رؤوسنا لمحف فوهته
مرسومة على السماء مستديرة تامة الاستدارة
ومن خلالها لمحف قمة (سكاتاريس) تلمع الشمس
عليها ..

أما في قاع البركان كانت هناك ثلاث فتحات هي قاع
المدحج التي من قاعها يخرج نيران كثيرة . وكانت
تخرج منها نبع ماء في قاعها فتخرج من تحتها
واب أمها . على حين كانت ترويض (يسروك)
حصى مفعلة وتخرج بركض من تحتها يرمقها
ويحترقها ويحترق بفسه ماء بظراب (هار) ورشه
أشج حشوا على الصخور بالصخر يحترق أنفسهم
أي محنون هذا ؟

وفجأة صرخ عني ..

— (أكسل) ! .. (أكسل) ! .. تعال هنا ..

لديهم وهو يرمى بحدود عملاقة يقف في وسط
الفوهة .. فجريت لأرى ما هنالك ..

— انظر !

على الصخور نمت حروفاً محفورة نقباء بها
الرمز حروفاً (روك) متوشحة بالنسبة إلى
الحروف التي تشكل ذلك الاسم الشنيع :

— أرى سائراً هارماً ركب منكك^{١٤}

السمام الحشوي وحسب فوق صخرة حضر إلى
نهره يدور من يد (هار) عينيه تفتت .
الأمم ترفل برحدر حشوي متشوي ولا مني
غفوت أنا ..

وخلل نومي حين أن الجبل يهتر

• • •

بعد تشرق الشمس في الابد التالية بسبب العيوم
كان عني يخن لانه ماله تشرق الشمس فلي بسفط
ضن (سكارنريس) ليرينا الفوهة انفعية بين الفتحات
الثلاث .. فقط أربعة أيام أخرى وينتهي شهر (يوسو)
ويتأجل مشروعنا إلى العام التالي ..

كان .. يرمقنا في فصول متسلسلاً .. حتماً —
من عة انتظرنا ما أنا فطلنت ادعو الله سرراً إلا
تشرق الشمس هذا الشهر ..

وفي نيووم نسم والعشرين أشرق الشمس .
ويبدأ النضاب نستخدم في صوبها الاصفر البارد ..
ح عني يرمق ضن (سكارنريس) يتحرك فوق قاع
البركان ببطء .. ببطء ..

ند .. في انانية عشرة ظهرا — سقط الظل فوق
الفحة الوسطى الفحة التي احتارها (ساكوسم) .

— إذن هذه هي ! .. هلم بنا .. !

وأشار عني إلى (هاتز) ..

— فوروت .. ! .. إلى الأمام .. !

الآن تبدأ الرحلة الحقيقية ..

الآن تنتهي مرحلة الإنهاك لتبدأ مرحلة الصعاب . .
لا تزل الفرصة متاحة لي كي أرفض . لكن كيف أجري
على ذلك أمام (هانز) الذي لا يبدو على استعداد لأن
يخاف شيئاً ؟ كلا . سأفكر في (جروبين) التي
تنتظر عودتي المظفرة ولأنزل بشجاعة عبر
الفتحة . لكن لا يحب أن أدع الدوار يملكني لأنني فيما
يبدو لم ألق ما يكفي من الدروس في تلك الكنيسة
بـ (كوينهاجن) ..

لم تكن جدران الفتحة التي سننزل منها ملساء
كذب هنا وهناك صخور حادة تشبه درجات السلم إلا أنه
لم يكن ثمة ما تشبث به أيدينا . لربما أفادنا حبل
نربطه إلى الحافة ، لكن كيف عسانا نحله حين نصل
لأسفل ؟ ..

وحد عمي فكرة بسيطة ودكية هي أن يدلي نصف
الحبل إلى أسفل ثم يلف الحبل حول صخرة بارزة ويدلي
النصف الآخر ليلحق بزميله . وهكذا يكون على من
يهبط على الحبل أن يستخدم الصفيين معاً كأنهما حبل
واحد . وعند الوصول إلى مكان يصلح للوقوف ، فمن
السهم حذب نصف واحد من نصفي الحبل لاستعادته
بأكمله .. ونكرر العملية ..

١ - والآن ليأخذ كل منكم ثلثاً من المتاع ويربطه على
ظهره ..

- ولكن ماذا عن باقي الحبال والثياب ؟

- ستعني هذه بنفسها .. !

- ماذا تعني ؟ ..

- ستري ..

وبمعونة (هانز) حزم عمي هذه الأشياء في حزمة
كبيرة وقذفها إلى أسفل . كان باستطاعتي سماع
صوتها وهي تشق الهواء وصوتها يتضاءل
يتضاءل حتى تلتشى نهائياً .

- هكذا .. ! .. والآن جاء دورنا ..

والآن دعني أسألك بأمانة .. هل يمكن لأي شخص
يكامل قواه العقلية ألا يموت هنا في هذه الظروف ؟ !

كيف أتحمل كل هذا ؟

على كل حال .. بدأنا عملية النزول ..

إلى مركز الأرض ..

• • •

٤ - أي ممر ؟

س - انزلوا على الحبل المزدوج متجاهلين الحظر
المنعثر شي الا يتحمل هذا الحبل اشرع نقتل معا .
شرعت أسعس عصا كوسيلة لتخفيف الضغط عن هذا
الحبل . وبعد نصف ساعة وحدا نفسا على صحرة
كبيرة مسطحة تبرز من الجدار الراسي ..

نظرت اني اسفل . لكني لم اتمكن من رؤية أي
شيء ..

شرع (هار) بعيد تغلق الحبل من حديد متوسط
المرحلة التالية اني يمشي عميقا ماسي قدم
وسيطع - في اناء هبوطا - ثم اكن لاهتم بمعرفة
بوتنة الصخور انني بهبط عينيها - الا ان عيني
مقصود عيني قدم - شرع يفتحصها في همهم
وقال :

- كما تقدم امت أكثر ان باطن الارض ليس حارا .
وعني كل حال سوف نرى ..
ولما عبت ضلة حباتي تحت اثرة حنقه ونهت

افترض انني اوافق على ما يقول ..

واصت انزلوا وبعد ثلاث ساعات كاملة ، ثم يكن
الفرع ظهرا لاجيننا بعد . لكننا استمررنا في انزلوا
لاسفل لاسفل لاسفل أزجي الوقت بعد المرب
التي فكنا فيها الحبل واعدنا تعيقه . لاعرف إلى أي
عمق وصلنا . وكان عددها أربع عشرة مرة استغرقت
من سبع ساعات ، وباتت اني كما على عمق ٢٨٠٠ قدم

قال عني وهو يلهث :

- لقد وصلنا .

- لأين ؟

- لقاء البركان ..

- إن لا يوجد مخرج لقد انتهت رحلتنا

- لابد ان هناك واحدا على يميننا . لكن ستري ذلك

عدا ، اما الآن فقد حان ميعاد النوم . وبالنظير

الغشاء ..

وهكذا فنحنا حقبة واتهمنا بعض الطعام ، ثم هبنا

انفس كيقظ اتفق ، لتقوم فوق الصخور .

استلقيت على ظهري وشرعت ارمق نحنا بتلق غير

الفتحة التي نزل منها . حتى غشي انعاس

...

فى الصباح أبقتنا ضوء النهار الخافت قدما من
أعلى . بالطبع لم يكن قويا ، لكنه سمح لنا برؤية
الموجودات ..

قال عمى فى مرح مرعب :

— كيف حالك يا (أكسل) ؟ هل نعمت من
قبل ليلة هادئة كهذه فى دارنا العجوز بشارع
(كونيشر) ؟ لا ضوءا من أى نوع .

— بالطبع هادئة .. هادئة إلى حد مفرع .

صاح عمى :

— هلم هلم ! إذا كنت تشعر بالرعب الآن فكيف

ستشعر فيما بعد ؟

إننا لم نتجاوز بوصة واحدة داخل الأرض !

— ماذا تعنى ؟؟ ..

— أعنى أننا لسنا حتى تحت مستوى البحر .. إننا

فقط نزلنا المسافة التى صعدناها حين تسلقنا

(سنيفل) .. !!

— حقا ؟

— طبعا .. انظر إلى (البارومتر) ..

— إنه يشير إلى تسعة وعشرين بوصة ..

— هكذا هذا هو ضغط الهواء العادى . وهذا يويد

كلامى . والآن دعنا نقول وجبة إفطار جديدة برجال

ينتظرهم عمل شاق ..

وأكن فى صمت . بعدها جلس عمى بدون قراءات

(الكرونومتر) و (الترمومتر) . (البارومتر) . ثم

قال :

— والآن يا (أكسل) هذه هى النحلة بعينها التى

سنبدا فيها رحلتنا إلى قلب الأرض

وإضاء الكثاف الكهربى وكذا فعل (هانز) .. واتجه

عمى نحو النفق الموحود على اليمين وبخفه .. وقبل

أن انسحب رفعت عينى إلى السماء لارى — لآخر مرة

فى حياتى — ضوء النهار ..

كانت الحمم هى التى صنعت هذا النفق لنفسها عام

١٢٢٩ حين ثار البركان آخر مرة . وكانت حرارته

مغلقة بضقة معدنية برافة ، مما أكسبه حمالا لا يوصف

— انظر لهذه الروعة يا عمى !

— اه ! أنت تحبها يا (أكسل) . وأنى لامل ان

ترى أشياء أكثر روعة بالداخل فننقدم !

كان الأخرى أن يقول فلتنزلق ! لأن الممر كان

منحرفا إلى حد لا يوصف ، مما جعل من السير حقا

الافتراق ..

إلا أن الحرارة لم تزيد إلا أربع درجات داخل النفق حتى بعد ساعتين من المشي . وفي الثامنة مساءً أمرنا عمى بالتوقف داخل أحد الحبوب الصخرية ، فغلقنا مصباحينا على الصخور .

قد بطن القارئ أن الهواء كان ساكناً ، لكنه كان في الواقع يتحرك . وكنت أستشعر هبات من الريح لا أدرى مصدرها . لأن الجوع والإرهاق كانا يمنعانني من التفكير المستطيق . إن سبع ساعات من الانزلاق ليست بالأمر الهين ..

كان النفق يمر على أناس قد أتينا على نصف مخروم المياه الذي سلك به . وكان عمى يعول على التسارع الحولية . لكننا حتى هذه اللحظة لم نجد واحداً . لهذا ريت أن ألفت نظره ، فقل :

— هل هذا ينير قلبك ؟

— حتماً . قلبى ودهشتي . إن ما معنا من ماء لا يكاد يكفي خمسة أيام ..

— لا تدع هذا يثقلك . سنجد ماءً وبكميات وافرة

— متى ؟

حين ندرك حوض الحميم . إن ماء الينابيع عاجز عن اختراقها ..

— وماد لو ظلت هذه الحوايط لفترة طويلة ؟ . من الواضح أننا لم ننزل كثيراً بعد ..

— وماد لو يوحى لك بهذا ؟

— لأن الحرارة لم تزد بعد سوى تسع درجات وهذا معناه أننا لم نهبط سوى ١١٢٥ قدماً

— هذا يابنى لو كانت قواعذك الحرارية سارية هنا .. إننى واثق تماماً بحساباتى من أننا قد هبطنا عشرة آلاف قدم .. ولا شك فى ذلك ..

إن كلام عمى صحيح بلا ريب . فهو لا يخطئ فى شيء كهذا ، ومعنى ذلك أننا قد تحاورنا أقصى عمق يبلغه إنسان بـ ٦٠٠٠ قدم . وكان ينبغي أن تكون الحرارة إحدى وثمانين درجة لا خمس عشرة . وفى اليوم التالى واصلنا السير فى العمق

وفجأة توقف (هاتز) ..

لقد كان هناك ممران . واحد أبيض وواحد أسمر وهذا معناه مشكلة . فأبهما المطلوب ؟

لم يتردد عمى واختار أحدهما وشرعنا نمشي فيه . كن هذا خطأ لكننا لم نعرف ذلك إلا بعد أيام عديدة

ولم يكن هذا الممر منحدرًا بل يكاد يكون أفقياً . لم

أحب هذا الشعور .. وانتابني إحساس أن شيئاً ما ليس
على ما يرام ، لكنني كتبت عن عمي هذا الشعور .. لقد
مضينا في العمر ستة أميال حقاً لكننا لم نهبط أكثر من
ميل واحد ..

تناولنا العشاء في صمت ثم أخذنا للنوم ..
وفي الصباح واصلنا مسيرتنا عبر هذا العمر .. هذه
المرة كنت واثقاً تماماً من أنه لا يهبط بل هو بالأحرى
يصعد .. لا بد أن الأمر كذلك لأنه - حين صارت الساعة
العاشرة - كنت قد بلغت من التعب مبلغاً كبيراً ولم
بعد بإمكانتي الاستمرار ..

هتف عمي في نفاذ صبر :

- ماذا دهاك يا (أكسل) ؟ لم لا تسرع ؟

- يجب أن أتوقف .. لقد هدئي التعب ..

- ماذا ؟ .. بعد ثلاث ساعات في طريق منحدر ؟

- منحدر نعم . ولكن لأعلى ! نحن نصعد ، ولن

يستغرق الأمر طويلاً حتى نعود إلى (أيسلندا) ثم

(كوبنهاغن) ثم دارنا في (هامبورج) !

إنه طريق جيد للعودة ، لكنه لا يناسب تماماً غرض

الوصول لمركز الأرض ..

لكن عمي هز رأسه في لامبالاة ، بمعنى أنه لا يريد



وفجأة توقف (هانز) .. لقد كان هناك جمران واحد أيمن وواحد

ان يسمع كثر . وواصلنا مسيرتنا المبهكة عبر النفق ..
في الساعة الثانية عشرة بدأت لحدرا ت تنغير .. وبدلاً
من الحمام المتحمدة بدأت أرى صخوراً غريبة منسقة
في مجموعات منتظمة . لا بد أنها كانت تنتمي للحقبة
(السيلورية) ..

هفت في دهشة منادياً عمى وأنا أُمير إلى ما يحيط
بنا من أحجار رملية وأحجار جيرية وأردواز .

— انظر يا عماء !

— ماذا ؟

ها نحن أولاء قد فارقنا الحمام والجرانيت تحتنا ،
ووصلنا إلى حيث حفريات الحيوانات والنسبات . أي
أنا نصعد ..

— اتظر هذا حقاً ؟

توقعت أن يصرخ عجباً ، إلا أنه استمر في السير
دون تعليق .

هل فهم مغرى كلماتي ؟ هل هو غير راغب في
الاعتراف بخطئه أم أنه ينبغي احتياز العمر حتى نهايته ؟
على كل حال إذا ما كنت مصيباً سأرى حفريات
نسائية وحيوانية تدعم وجهة نظري . وبعد مائة خطوة
رأيت على الحائط ما يؤكد أنني على حق ..

هرعت إلى عمى لأريه الحفرية التي في يدي .
— أترى ؟ ..

— حسن هذه حفرية عادية وشائعة . وعندى منها
مئات في داري .

— لكنها تعنى

— نعم نعم تريد يقول انت اخترنا العمر الخطأ
واسا — كما تؤكد — نصدق بدلاً من ان نهبط لكنني
لن أؤكد من ذلك إلا عند نهاية العمر ..

— أنت محق يا عمى محق نعماً في حبطك هذه

ثم ابتلعت زيقى وأردفت :

— لكن هناك خطراً يهددنا خطراً يتزايد في كل
دقيقة

— ماذا تعنى ؟ ..

— إن الماء يتناقص باستمرار ..

قال عمى في برود :

— إذن سنشرب كميات أقل ! هذا هو كل شيء .

• • •

لم يعد لدينا من الماء سوى ما يكفي ثلاثة أيام
وكنا ماضين في طريقنا عندما الاحجار لم تنزل كما
هي أحجاراً رملية حمراء . ان الامر يتصح أكثر

وأكثر اتنا في الممر الخطأ إلا أن البروفسير (ليدنبروك)
لم يجد أية علامة تدل على الاهتمام . إما أنه كان
يتوقع أن يجد فجأة ممراً هبطاً لأسفل .. وإما أنه كان
يتوقع أن يجد سداً في الممر من ثم نعود أدراجنا .
لكن شيئاً من هذين لم يحدث ..

كان ظمى يتزايد تدريجياً حين وجدت أحجاراً سوداء
على الجدار . أحجاراً لامعة تترك بصمات سوداء على
يدي حين لمسها بالصدفة .. إنه فحم !
لكن عمى لم يهتم بالأمر كثيراً حين أخبرته ..
وجلس يلتهم طعام العشاء في صمت ..

كان ما شربناه كاشياً بصعوبة ليروى ظمأنا . وحين
غرق عمى و (هانز) في العفاس ظللت رقبدا على
ظهري ، أعد الساعات حتى الفجر . وحتى بدأ السير
مرة أخرى ..

وصلنا لكهف ضخم اتساعه مائة قدم ، وارتفاعه
خمسون قدماً وحدراته من الفحم . وظللتنا نمشي فيه
حتى المساء دون أن نشعر للحظة واحدة أننا ندنو من
مركز الأرض ..

هل يمكنك أن تتخيل مدى نفاذ صبر عمى .
وفي السادسة مساء وصلنا لحائط رأسى بلا فتحات

يسد الكهف . لقد كانت هذه نهاية الرحلة !
— رابع ..

— صرخ عمى

— على الأقل فهمنا أننا كنا في الطريق الخطأ وأن
(ساكنوسم) لم يصل هنا أبداً . كل ما علينا الآن هو
أن نعود أدراجنا لنأخذ النفق الآخر !
— بالفعل .. لو بقيت لدينا قوة ..

— وما المشكلة ؟

— المشكلة أننا غدا لن نجد قطرة ماء واحدة .
وهنا — ولشدة الغرابة — ذكر (هانز) عمى أن
اليوم هو السبت وأن الوقت قد حان لأخذ الجزء الثاني
من أجره ..

• • •

بحب أن نتحرك الآن بأقصى سرعة
لا وقت نضيعه إذا ما كانت أمامنا ثلاثة أيام
حتى نصل إلى نقطة تلاقى الممرين .

وكما قلت لك .. انتهى الماء في مساء اليوم الأول .
وبالطبع لا يمكنني أن أبين لك كم عانينا من الظمأ .. كم
مرة هويت للأرض عاجزاً عن الاستمرار ، في حين
يعينني عمى أو (هانز) على النهوض . لكن الطريق

— على الأقل — كان مستحضرًا لاسفل مما سمعنا رحلتنا
وهكذا — في يوم الأربعاء الثامن من (يونيو) — وصننا
إلى نقطة التلاقى . وقد صرغنا انظف والاحياء .
فارتفعت على الارض منك غارقا في انفس ..

— يا صغيري اليانس !

قلوب عمى وهو يحيطى بتراعه . وقد أكن قد
سمعه يتحدث بهذه الرقة والحنان . وللغربة نمحت
الدموع تلتمع في عينيه ..

— اشرب ..

قلوبها وهو يفرح بحاجة الماء من قمى هز
جن ؟ .. ماذا يضى ؟ ..

— اشرب ! ..

نعم هذا ماء ' محرز جرعه لكنها اعادت الحياة
لى

— هي جرعة ماء الاحيرة من سمعى ' الاحيرة
كتب قد سحرى من حب من حب
بك ونكم قلوبى بفسى كى لا سربى

سالت الدموع من عيني قائرا ..

— آه يا عمى !.. شكرا ... شكرا ..

أبعد عمى عنى عن عيسى وقد بدا عليه التحول منى
فقلت :

— والى يا عمى . لقد حان الوقت لنعود أراحنا
— من هذه الجرعة من نداء لم تترك شعاعة .

— أصغ إلى يا عمى .. لم تزل العودة ممكنة ..
أرجوك ..

— أعود .. ؟

وبدا لى فى هذه اللحظة كأنه يحدث نفسه فى الواقع :

— أعود بعد كل هذا العناء ، وبعد أن صرنا قلب

قوسين من النجاح ؟

— .. ومن الموت ..

— إن غدا وحدك أنت و (هاتز) .. أتركاتى هنا

لأنى لن أترجع حتى لو كان على أن أفضى وحيدا ..
هيا .. لذهب .. ! .. لذهب

كان هذا مستحيلا بالطبع .. وقللنا نتجادل أمام
(هاتز) الذى شرع يرمقنا فى لا مبالاة ، وقد فهم من
حركتنا بالطبع أن هناك خلافا ما بيننا ، وأن كل واحد
منا يحاول إقناع الآخر باتخاذ طريق مختلف . لكن
الأمر لم يكن بعينه كثيرا .. هو على استعداد أن يعود إذا
ما طلب منه عمى ذلك كتابة . وعلى استعداد أن
يستمر إذا ما أراد عمى ذلك منه .. لكم وديت لو
لأنه استطاع أن يفهمنى .. !

اتجهت نحوه وشرعت لأجذبه من يده مشبرا إلى
اتجاه العودة ليفهم ما أريد ... لكنه اكتفى بهز رأسه
والإشارة نحو عمى قتلنا :

— سيد !!

— سيد ؟ . لكنه سيد مصيرك أنت .. يجب أن نعود

وأن نأخذه معنا ..

قال عمى فى رزاقته :

— إهدأ يا (أكسل) واصغ لما سأقول . إنا لم نجد

ماء فى العمر الاول ، والماء هو مشكلتنا الوحيدة ، لذا

سنحاول أن نجد حظا أفضل فى العمر اتانى .

هزرت رأسى لأقول شيئا إلا أنه قاطعنى .

— أصغ للنهاية - بينما كنت راقداً فعلت ذلك الشيء

الذى كان على أن أفعله من قبل . مضيت أستكشف

العمر . اتنى واتفق أنه خلال ساعات سيقودنا إلى

صخور يجرى الماء بينها . إنه الطريق الذى اتخذه

(ساكوسم) من قبل وهو يحتاج إلى الماء مثلنا

طبعاً . وحيث وجد هو الماء سنحده نحن . ، لقد كان

رجال (كولومبوس) يطالبونه بالعودة . لكنه طلب منهم

ثلاثة أيام فقط .. وقبل أن تنتهى هذه الأيام الثلاثة كانوا

قد اكتشفوا (أمريكا) .. سأكون أنا (كولومبوس) هذا

العالم لكنى لن أطالب بثلاثة أيام بل بيوم واحد .. يوم

واحد . بعده سنعود أدرأجنا .. فهل هذا كثير ؟

بدأ لى كلامه منطقياً .. فهزرت رأسى موافقاً :

— بارك الله فى رجاحة عقلك وصبرك ... إن الوقت

ضيق لذلك دعنا نبدأ فى الحال ..

• • •

٥ - الرحلة تستمر ...

شرعنا نجوب العمر الجديد يتقدمنا (هانز) كالعادة ..

وما أن قطعنا مائة خطوة حتى رفع عمى مصباحه يتفقد

الصخور . وهنف :

— هذا هو العمر الصحيح .. لا أخطاء هذه المرة ..

فبالى الأمام !

وفى الثامنة مساء لم نكن قد وجدنا أى أثر للماء ..

كان الإجهاد والطما يقتلاتنى لكنى تحاملت على نفسى

إنى أن .. إلى أن فقت كل القدرة لى على الاستمرار

وهويت على الأرض صارخاً :

— إتنى أموت ! .. إلى .. إلى !

عاد عمى وانحنى بجوارى . وسمعه يقول :

— هذا ينهى كل شيء ..

غبت عن الوعي وحين أفقت وجدتتهما جالسين

جوارى لا يتحركان فهل كانا نائمين ؟ .. كنت أعرف أنه

ما من شيء يمكن عمله ولا شيء يعيننا .. هذا

ينهى كل شيء .. حقاً . لم يعد حتى ترف العودة متاحاً ،

لأن ستة أميال من قشرة الأرض تعزلنا عن العالم

الخارجى .. حتى لاكاد أشعر بنفثها فوق روحى ..

وفي الظلام سمعت جلبة .. فتحت عيني ببطء لأرى
(هاتز) ينسل من المكان حاملاً مصباحاً .. إلى أين هو
ذاهب ؟ .. حاولت أن أنادي .. أن أصرخ .. لكن صوتي
خرج مختوفاً ..

— (هاتز) قد غادرنا !.. (هاتز) !..

لكن هذه الكلمات لم تخرج من حنجرتي .. أهو يفر ؟ ..
كلا .. لا بد أنه يعترزم أمراً ما ، لأنه يتوغل داخل الممر
بدلاً من الخروج منه ، وتلك علامة طيبة .. هدأت قليلاً
لكنني ظننت أنساعل عن سبب رحيله .. وتصارعت منات
الذكاء السوداء في رأسي حتى ظننت أنني جننت .. في
النهاية سمعت صوت خطواته .. ولمحته عائدًا حاملاً
مصباحه ، ثم اتجه لعمي وهز كتفه برفق .. وقال :

— فأتن !..

ثم أكن أفهم الدانمركية ، لكن رنين الكنزة كان مألوفاً
.. فصرخت :

— ماء !.. ماء !

صرخ عمي متسانلاً ..

— ماء ؟ .. همار ؟

— نيدات !..

لقد فهمت !.. فجاء صرت لأجيد الدانمركية .. للماء

نعت !

وهكذا استرددنا نشاطنا وشعرنا نجتد أنسير عبر الممر ..
نصف ساعة كاملة ولا أثر للماء .. كاد أمل يمتوت لكن
عمي ضمانتي أن الماء قريب .. وأن هناك نهراً يجري
خلف الجدار بمحادثاتنا لأنه يسمع صوت الماء بوضوح ..
ومر نصف ساعة آخر والامل يلمع أمام عيوننا ..
والصوت يتعالى ، ثم بدأ يتحفظ !.. معنى هذا أن هذه
هي اقرب النفاذ للنهر ومن الحكمة ألا نتحرك أكثر ..
في هذا المكان جنسنا نصغي لصوت الماء العذب
المعذب !..

لم يباس (هاتز) بل شرع يتنقل هنا وهناك يلصق
أذنه بالجدار باحثاً عن أعلى نقطة يسمع عندها خرير
النهر ، ثم أمسك بالفأس وشرع بهشم الصخر .. ياله
من دكي !.. لم تكن لتخطر لي فكرة مماثلة أبداً .. لكنها
خطرة .. خطرة .. فقد يسهل النفق كله فوقك وقد يبتق
تيار جارف من مهاد النهر يحتاج كل شيء .. ولكن ..
ليكن ما يكون .. فسن نبالي بشيء .. نريد الماء
ولا يعني ما يحدث بعد ذلك ..

ساعة كاملة قضناها في الحفر وأنا وعمي نرمقه في
نفاد صبر عاجزين عن مساعدته ..

وثجدة أتبع تيار من الماء عبر الفتحة !..

أطلق (هاتز) صرخة ألم حين مسه الماء .. وكذا أنا

حين مدت يدي لأشرب .. لقد كان الماء يقلى .. 1..

— اللعنة ! .. إنه مباحن ..

— لا عليك .. سيبرد حالاً ..

وبعد دقائق أمكننا أن نشرب . يالروعة ! ..
لا يمكنني أن أشرح لك أية نشوة شعرت بها إلا إذا كنت
قد جربت الحياة بدون ماء بضعة أيام . كان الماء
مجهول المصدر دافئاً .. لكنه ماء ! .. وقد أعاد الحياة
لنا حتى أنني ظننت أجرع منه دون حيلة . وإن سألت
عمي :

— طعمه كالحديد إلى حد ما ..

— عظيم ! .. هذا مفيد للصحة ..

— هل أنت واثق ؟

— طبعاً . هذا الماء أت من على عمق ستة ميل
تحت الأرض أي أنه لم يلوث . ان (هاتز) يستحق
أن نطلق اسمه على هذا النهر ..

كان انماء مستمرا في التدفق مكوّنا مجرى صغير
عبر صخور الكهف ..

وهكذا أسمينا هذا النهر (هاتز ساخ) بمعنى
(تيار هاتز) . إلا أن أقلنا اهمام بهذا نهر فكن
هو (هاتز) نفسه الذي لم يتغير هدوء المعهود ثم
انني قنت لعمي وأنا أحاول سد النقب



ساعة كمنه فتساقط في حشر وان وعمي برمقه في بغداد صر عا حرس

عن مساعده ..

— يجب أن نمنع هذا الماء من التدفق بعد أن نعلأ زجاجاتنا

— ولله ٢٠٠

— لأن ..

وتوقفت لأنني لم أجد سبباً منطقياً .. لهذا قال عمي :
— لندعه يتبعنا ويتدفق بشكل طبيعي ، وسيكون مرشدنا عبر العمر ، ويمدنا بالماء كلما احتجنا إليه ...
— هتفت :

— إنها فكرة رائعة .. وطالما ظل هذا المجرى يرافقتنا ، فلا يوجد سبب يمنعنا من النجاح ..
ضحك البرفسير في مرج :

— هأنذا تقترب من الصواب يا بني !
— أنا لا اقترب من الصواب ، بل وصلت إليه فعلاً ..
هيا بنا !

— ليس قبل بضع ساعات من الراحة ..
لقد أنستني الحماسة أن الليل قد جاء ... وهكذا
أخذنا للنوم أخيراً ..

• • •

حين صاحوت في الصباح دهشت للحظة من أنني لا أحس الظما ، ثم تذكرت أحداث الليلة الماضية فهدأت بالاً ، وشرعت أتناول طعام الإفطار بمضويات عالية .. كيف لا ينجح عمي إذا ما كان في حوزته دليل مثل (هاتز)

ورفيق رحلة مثلي ؟ .. إن كل ما علينا هو أن نستمر في النزول .. لأي شيء أهون من ذلك ؟ ..

في العمر واصلنا الرحلة .. لكنه كان يتعرج ذات اليمين وذات اليسار ، حتى أننا سرنا مسافة هائلة خلال يومين دون أن نهبط كثيراً في الواقع ..

وفي يوم الجمعة — العاشر من يوليو — وجدنا حفرة هائلة تبدو بلا قاع عند أقدامنا ، وقد أثار منظرها الرعب في قلبي لكن عمي سرّ كثيراً لدى مراها ...

— رانع ! .. ستأخذنا هذه مسافة هائلة لأسفل . ولن نخيفنا الصخور البارزة من الجدران لأنها ستعمل كدرجات السلم ..

كان النزول سهلاً لأن الدرجات كانت منتظمة كأنما نحتت بيد إنسان ، وكنا نتوقف من حين لآخر لتناول الطعام والشراب من المجرى المائي الذي غدا الآن يتساقط من أعلي علينا ..

لقد هبطنا خمسة عشر ميلاً تحت سطح الأرض حتى هذه اللحظة .. واليوم هو الثاني عشر من يوليو .
وحين أخبرني عمي أننا قطعنا — بحسب اليوصلة — مائة وخمسين ميلاً باتجاه الجنوب الشرقي شعرت بدهشة ، وسألته :

— معنى هذا أننا لم نعد تحت (أيسلندا) ؟ ..

— هل تعتقد هذا ؟

— يمكننا التحقق من ذلك ...

وأحدث الخريطة منه وقمت بوضع عمليات حسابية
أكدت لي وجهة نظري ..

— لقد عبرنا (كيب بورتلاند) أي إننا الآن نحت

البحر ...!

— رابع .. تخيل أية روعة !

أما أن فلم ألتح تمامًا فكرة أن أمشي تحت قاع البحر .
على كل حال فالأمور تتساوى بالنسبة لنا سواء كنا
تحت قاع الاطلنطي أو تحت مضاب (أيسلندا) فلا فرق
بين صحور وصخور لا ترى سواها . لقد نسبت تمامًا
كل شيء عن السحوم والشمس والشوارع والبيوت .

وتستمر الرحلة .

إلى أن جاء اليوم الذي أخبرني فيه عمي أننا الآن
على عمق ثمانية وأربعين ميلاً . فقلت في حيرة .

— لحظة يا عمي إن المسافة من سطح (أيسلندا)

إلى مركز الأرض هو ٤٧٥٠ ميلاً . اليس كذلك ؟

— نرى

— نفل إنها ٤٨٠٠ ميل .. ونحن قطعنا جزءاً من

مسافة في عشرين يوماً .. أي أن الرحلة ستستغرق

٢٠٠٠ يوم في خمسة أعوام ونصف !!

صمت عمي لحظة ، ثم قال بغضب :

— من أدراك أن أرقامك صحيحة ؟ .. ماذا يؤكد لك أن

تستمر الرحلة على نفس المنوال ؟ .. ثم إن هناك من
سبقنا إلى هذا ، وحيث نجح هو سننجح نحن .

— أتعني ذلك ولكن من حقى أن ..

— أن تخبرني يا (أكسل) وتريحني من حماقتك !

وهكذا .. خربت ..

قال عمي وهو يتسیر للبارومتر ليبعد تفكيرى عن

خواطرى السوداء :

— ينظر إلى هذه القراءة . ماذا ترى ؟

— أرى ضغطاً جويّاً هائلاً ..؟

— ويرغم هذا لانهائى منه ، لأن أجسادنا قد اعتادت ..

هل تشعر به ؟

— محدد ألم فى أذنى (*) لا أكثر ...

— هذا لاشيء .. وسيزول بمجرد أن تتنفس بسرعة

لدقيقة ..

— نعم بالفعل ! . وهل لاحظت إلى أي حد عدا

الصوت نقيّاً واضحاً ؟

— طبعاً ..

- إذن قالهواء يزداد ثقلًا كلما نزلنا أكثر .. حتى يغدو وزنه كالماء ؟ ..

- هذا محتم ..

- إذن كيف نستطيع الحركة في هواء كهذا ؟ ..

- سيملاً حيواناً حجارة عندئذ ... ! .. هذا كل شيء .. !

إن عمى - حقاً - يملك إجابة مفحمة عنى كل سؤال ..

لكن الحقيقة العلمية هي أن الهواء سيغدو صنناً في

لحظة ما . ومن الصعب أن أتخيل نفسى أتحرك في

هواء صلب ! .. لكننى لن أعاود الحديث عن (ساكنوسم)

البحرين الذى قام برحلاته فى القرن السادس عشر قبل

الميلاد (ترومتر) فكيف عرف أنه قد بلغ مركز

الأرض حقاً ؟ !

• • •

لقد يحدث شيء ذو سال فى الأسبوعين التتاليين

لمحدثنا هذه

وشى النمل نسابع من أغسطس كنا على عمق تسعين

ميلاً تحت الأرض . وكنت أسير فى المقدمة

وفجأة . انفت خلفى فوجدت نفسى وحيداً .. !

قلت نفسى

- فليكن . لقد أسرعت أكثر من اللازم ، أو هما قد

سعر . فلاحظ لهما وتحسن حظى أن الطريق ليس

شديد الانحدار

وبدأت أعود لأراجى .. ولكنى - وبعد ربع ساعة -

لم أجد أحداً .. ناديت فلم أسمع رداً ..

وهنا بدأ الهلع يتملكنى ...

فتنهداً .. متجدهما ثانية .. لا يوجد طريقان وأنت

كنت فى المقدمة وبالتالي لن يكون عليك سوى أن تعود ..

لا يوجد احتمال ثان ... ومضيت عائداً نصف ساعة

آخر فون جدوى .. لا صوت ...

كلا .. ! .. لا أصدق لحظة أننى قد فقت طريقى وأننى

وحيد .. لا يوجد سوى ممر واحد .. وحتماً سأجدهما

إلا إذا كنا شاردى الذهن وعادا للبحث عنى . لكن

حتى هذا يمكن التغلب عليه بأن أسرع قليلاً ..

ونكن . هل حقاً كنت لسيبقهما ؟ .. بالطبع .. (هاتر)

كان خلفى ثم عمى ..

إن الشكوك تغزو روحى .. لكننى لم أكن لأضل

طريقى طالما أن مجرى الماء يجرى جوارى ويفودنى ..

قررت أن أغسل وجهى لأنتش قليلاً واتحنت لافيض

كفى على الماء لكن يدي لم تلمس سوى الجرائيت ... ! ..

ليس هناك مجرى مياه عند قدمى .. !!

لا أستطيع هنا أن أصف ذعرى ...

لقد فقت حياً ... ! .. ساموت جوعاً وظمأ وبرداً .

لا بد أن العمر قد تفرع في نقطة ما لم أشعر بها ..
وتتبع أنا الاتجاه الخطأ على حين سار المجرى في
اتجاهه الصحيح حاملاً معه صديقي ..

ولكن كيف أعود ؟ .. لا أثر يهديني لقد فكرت
مراراً ومراراً بلا جدوى .. أنا ضائع .. ضائع ويجب
أن أترك كل أمل ..

وبالطبع أستطيع أن أتخيل تعاسة عمى وهو يبحث
عنى بلا طائل . عمى المسكين ، والآن - وقد ضعت
تماماً - شرعت أصلي داعياً الله أن يرأف بحالى أنا
الذى لم أصن منذ أعوام ...

وتدريجياً بدأ الذعر يفارق روحي .. والتفتل يعود ...
إن معى من الطعام والشراب ما يكفى لثلاثة أيام ..
ومن الحمافة أن أنظر الموت فى مكائى ... فلتحرك ..
ولكن فى أى اتجاه ؟ .. إلى أعلى بالطبع .. هذا هو
أملى فى أن أجد نقطة التفرع ..

وليكن شاغلى الأكبر أن أجد سهر (هاتز باخ) مرة
أخرى ..

• • •

ظلمت نصف ساعة كاملاً أسير صاعداً السفق ..
محاوياً أن أستعيد شكل الصخور أو أى شيء .. ثم

فهمت أن النفق الذى أسير فيه لن يقودنى لأى مكان ..
لأنه مسدود ..

هويت جوار الحائط مفترشاً الصخور ...

لا جدوى ...!.. إن ميتة شنيعة تنتظرنى لا محالة ..
إن المصائب لا تأتى فرادى .. وها هو ذا مصباحى
يضعف ويتراقص ضوءه من جراء سقطتى .. والآن - فى
أية لحظة - سيولى الضوء للأبد تاركاً إياى وحيداً فى
غيشة للظلام ...

ها هو ذا ..! لا ضوء ..! دوت صرختى الملتاعة فى
الظلام .. الظلام البكر الأولى .. ظلام .. الظلام ...
شرعت أجرى .. أتحتس الصخور .. أصطمم بها ..
أتعثر .. أنهض .. ألحق الدم السائل على وجهى .. أين
أذهب ؟ .. وأين أنا ؟ ..

ساعات لاحصر لها مرت على وأنا أتحرك كالذبابة فى
كل مكان ، وفى النهاية خارت قواى وهويت - كجثة -
جوار الحائط فاقدًا إحساسى بالعالم كله ..

• • •

بدأت أفيق مدركاً - فى هلع - أنني لم أمت بعد ..
وهنا سمعت ضوضاء تصطمم بأذنى .. ثم تخفت
وتبتعد ...

من أين تأتى ؟ .. حتماً من مكان ما تحت الأرض .
من انهيار صخري أو اصطدام غازات بعضها ببعض ..

وهنا عادت الضوضاء .. كأنها كلمات .. كلمات
لا أعرف لها معنى لكنها كلمات .. وليست مجرد
أصوات عشوائية ..

اهتزت من فرط الانفعال

هل هو حبال ؟ .. لا .. إنه شخص ما يتكلم لا شك في
ذلك

اكاد أسمع كلمة تتكرر كلمة كأنها تقول
(فورلوراد) ما معناها ؟ ومن يتحدث ؟ .. هل هو
عمى ام (هاتز) ؟ .. وهل يسمعاني مادمت أسمعهما ؟ ..
ناديت بأعلى صوتي :

— هنا .. هنا !

واسطرت هنبهة منتظرا دون جدوى .

ظننت أنقل جوار انحائط مصيخا السمع حتى وجدت
نقطة يسوى الصوت كأوضح ما يكون .. (فورلوراد ..
فورلوراد) .. ثم سمعت اسمي .. هد صوت عمى حتماً .
لا بد أن (فورلوراد) كلمة ديماركية يربدها (هاتز) .
والآن لاوشت لدى أصبعه . يجب أن أأديهما قبل
أن يتعدا .. لهذا صرخت بأعلى صوتي
— عمى لينبروك !!

يسو بن الهواء بطيء في نقل الصوت هاهنا إن
الهواء الثقيل هو السبب .. إنه ينقل الصوت أعلى ،
وشرئف مما على سطح الأرض ..

— (اكمل) .. أهذا أنت ؟

— نعم !

— أين أنت ؟

— ضائع في ظلام مدلهم !

— (اكمل) ! .. عزيزى .. كن شجاعاً ... لا تتكلم ! ..
لقد بحثنا عنك في كل مكان ، وأطلقنا رصاص بندقيتنا
عكك تسمع .. لكننا لا نستطيع أن نتقابل .. ولا نعرف
مكانك ... لهذا .. سنعتمد على الصوت .

— عمى ! .. هل معك ساعة الإيقاف ؟

— نعم ...

— خذها ..! .. ناد اسمي واضغط زر التشغيل ..
وبمجرد أن أسمع أنا صوتك سأنادى اسمك .. وهكذا
تضغط الزر ثانية .. وسيكون الوقت الذى يستغرقه
صوتك وصوتي في التنقل مقسوماً على اثنين ، هو
الوقت الذى يستغرقه الصوت لقطع المسافة بيننا ...

.....

— نعم ..

.....

ووضعت أذني لصق الحائط .. وما إن سمعت كلمة
(أكمل) حتى صرخت (ليدنيروك) .. وانتظرت رد عمي :
— أربعون ثانية ! أي أن المسافة بيننا يقطعها
الصوت في عشرين ثانية .. وسرعة الصوت ١٠٢٠ قدماً
في الثانية ، أي أن المسافة بيننا تقارب من أربعة
أميال .. (٥)

.....

كنت أبكي من خيبة الأمل إلا أن عمي صاح ..
— ليست مسافة مستحيلة يا (أكمل) ! ..

.....

— لكن هل أصعد أم أهبط ؟

.....

— أهبط .. لأن قد وصلنا إلى مكان واسع تجري عبره

(٥) هـ وقع الموقف في خطأ حسابي صغير لاحظته الكاتب
الروسي (ياكوف برسمان) ، من كثافة الهواء تزيد سرعة
الصوت ، وبالتالي فإن المسافة بين البروفيسور و (أكمل) أكبر من
ربعة أميال بكثير وحسابه يتوقف على معرفة كثافة الهواء
على هذا العمق ... (والمفروض إنها كبيرة) .

عدة معرات .. ولا بد أن الممر الذي أنت فيه يقود
إلى هنا .. ارحف .. امش .. عبر الممر الزلق ..
ولا بد أن تحدثا ننتظرك في النهاية .

.....

— وداعاً عمي .. وأرجو أن نلتقى ثانية لأنني لن
أسمعكما متى غادرت هذا المكان ...

.....

حمدت الله على أن قاد خطاي إلى المكان الوحيد
الذي يمكنني فيه أن أسمع عمي عن طريق ظاهرة
صوتية معروفة تجعل الصوت العادي ينتقل بشكل أفضل ..
نقد رأيت ظاهرة مماثلة في كاندراية (سان بول) في
لندن .. وفي كهوف (صقلية) وممراتها قرب
(سيراكوز) ..

المهم الآن أن أبدأ الزحف .. إن الممر شديد الانحدار
حتى أنني كنت أتحرج على صخوره .. أتحرج ..
أتحرج ..

وفقدت وعيي حين اصطدم رأسي بصخرة حادة ..
ولم أدر بشيء بعدها ..

...

٦ - بحر الأعماق ..

حين أفقت وجدت نفسي في مكان مظلم ، وعمى
يحدق في ..!

فتحت عيني ، فصرخ في لهفة :

- إنه حي ..! .. حي ..! .. حمداً لله على نجاتك !
ثم جاء (هاتز) .. وبدأ على وجهه الساكن تعبير
قوي من الرضا .. وقال :

- جود داج .. (نهارك سعيد) ..

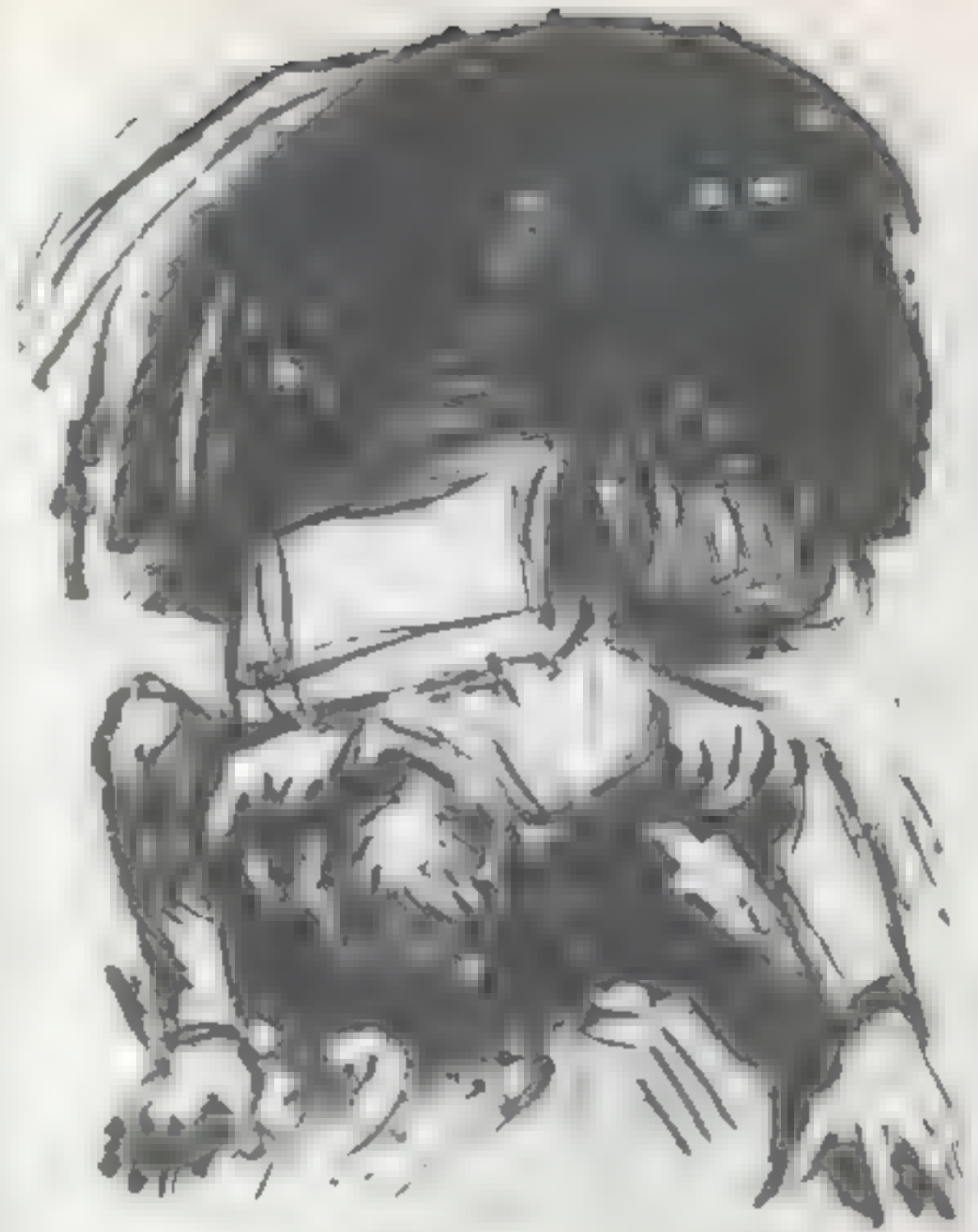
- ونهارك أنت أيضاً سعيد يا (هاتز) ..! .. والان
يا عماء .. أين نحن ؟

- غدا يا (أكسل) .. غدا .. فاليوم أنت مريض
ورأسك جريح إلا أنني سأعني به .. فقط نم . وغدا
سنعرف كل ما ينبغي أن نعرفه .

- على الأقل قل لي في أي يوم نحن وأية ساعة ؟

- إنها الحادية عشر مساء يوم الأحد .. التاسع من
أغسطس . والآن نم .. فنن أجيب عن أسئلتك حتى
النغد ..

• • •



- لمزيد من الأسعد ، حتى سي كتب أدعرج على صحوره

أندعرج .. أندعرج

عندما استيقظت من نومي كنت في كهف متسع رائع
الجمال . والأرض مغطاة برمل أبيض نظيف .. وثمة
ضوء ما قادم من فتحة ضيقة . وكان هناك صوت
غامض كهدير موج البحر آتٍ من بعيد .

هل أنا حقاً متيقظ ؟ أم ما زلت أحلم ؟ لا يمكن لحلم
أن يبدو واقعياً إلى هذا الحد ..
هل أنا على سطح الأرض ؟

هل تخلى عمى - أخيراً - عن استكشاف الأرض ؟
كنت غارقاً في هذه الاسئلة حين دخل عمى وحياتي ..
وأبدى سروره من أنسى استعدت قواي .. ثم قدم لي
طعام الإفطار ..

- عمى .. هل أنا حقاً بخير ؟

- بالطبع .. لا شيء بك ..

- ألسنا على سطح الأرض ؟

- نعم ..

- إذن أنا قد جئت حتماً إذ أرى ضوء النهار وأسمع
الرياح ..

- أهذا هو ما يفتكك ؟

- طبعاً ... أشرح لي .

- لن أشرح شيئاً لأنني لأملك نفسيراً .. ستري
بنفسك أن علماء (الحيونوجيا) لا يعرفون أي شيء ..
كل معلوماتهم غير دقيقة ..

إذن .. لنذهب في الحال ...

- كلا يا (أكسل) .. إن الهواء الطلق سيؤذيكَ حتماً ..

- هواء طلق ؟!

- بالطبع .. ويجب أن نبحر كذلك !

- نبحر ؟!

وكان انفعالي قد وصل حدّاً لا يوصف مما جعل عمى
يطلق سراحى ، وقد أدرك أن منعى سيؤذيني أكثر من
تركى أستريح ..

في البدء كان الضوء منافعاً إلى حدّ أننى لم أر شيئاً ..
وحين فتحت عيني . لم أستطع أن أفهم شيئاً على
الإطلاق ..

- هذا بحر !

- قال عمى في هدوء :

- نعم .. بحر (لينبروك) .. هكذا أسميته على

اسمى ..

كان أمامى بحر حقيقى له شاطئ حقيقى من الرمال
البيضاء . وريح هادئة تهب .. يتفرق كل هذا فى
ضوء أبيض هادئ بارد ليس مصدره القمر ولا مصدره
الشمس .. فمن أين يأتى ؟

وكانت هناك سماء تملؤها السحب فوق كل هذا ..
لكننى كنت أدرك أنها ليست سماء حقيقية .. لا بد أنه

فوق هذه السحب يوجد سقف هائل من الجراتيت على ارتفاع لا يقل عن تسعة أميال ..
وكان عمى - الذى اعتاد هذا المشهد - يقف ساكناً جوارى .. على حين انحدر مجرى الماء (هاتز باخ) رفيق رحلتنا ليصب في البحر ، وكأنه قد اعتاد ذلك من بدء الخليقة .

— يحز في نفسى أن نفارقه الآن !..

— وماذا فى ذلك ؟. إن مجارى المياه تشابه كنها .. قائتها عمى فى تكران جميل واضح .

وهب لمحت — على بعد خمسمائة خطوة — غابة !.. من الأشجار الشامخة . ولكنها شديدة الغرابة .. أشجار بلا أوراق ولا تداعبها الرياح .. دنوت منها لأعرف كنهاها . فسمعت عمى يقول

— إنه (عش الغرب) !..

على أننا على البعد لمحنا أشجاراً أخرى من تلك التى عرفتها الأرض منذ ملايين السنين و تجهلها الآن .. بل ولمحنا عظاماً لحيوانات مريعة كانتى عرفتها منذ خمسين مليون سنة .

إن هذا الكهف متحف حقيقى !..

وجنست على صخرة أرمق منها هذا الساحل الممتد أمام عيسى أكاد أتوقع أن أرى سفناً أو زورقاً .. لكننا — بالضع — كما الشراء الوحيد الحى فى هذا العالم السفلى ..

ما هو هذا البحر ؟.. إلى أين يمتد ؟.. هل سنرى الجانب الآخر منه ؟

فى الصباح نزلت لأسبح فى هذا البحر (المتوسط) وهو — بالمناسبة — اسم مناسب تماماً له لأن (متوسط) تعنى أنه يقع فى وسط الأرض .. وعنت لأتناول إفطاراً شهياً ، حين قال عمى :

— هذا هو وقت المدة ..

— المدة ؟..

— طبعاً .. إن هذا البحر لا يختلف عن باقى البحار .. وهو مضطر لأن يستجيب لجذب الشمس والقمر .. إنها قوانين (الفيزياء) الصارمة ..

— وما هو عمقنا الآن يا عمى ؟

— مائة ميل .. وقد ابتعدنا ألفاً وخمسين ميلاً عن (لوسلندا) ..

— إذن نحن الآن تحت (سكوتلندا) ؟

— هنأ .. ومن الضرورى أن نعبّر هذه البحيرة بلحنيين عن ممر آخر نستكمل به رحلتنا ..

— وكيف نعبرها ؟... هل توجد سفينة ما تنتظرنا ؟

— لا سفن يا بنى .. بل طوف قوى مريح ..

— طوف ؟.. ولكن من أين ؟..

— إن (هاتز) يصنعه الآن ..

— (هاتز) ؟ .. وكيف استطاع قطع الأشجار ؟

— هو لم يحتاج لذلك ... اتبعنى لترى ...

وتقدمنى عمى إلى مكان على الشاطئ خلف بعض الصخور لاجد (هاتز) يعمل فى بناء الطوف . الطوف الذى كان — لشدة دهشتى — على وشك الانتهاء الآن .. ومصنوعاً من خشب عجيب الشكل ..

— عمى .. أى نوع من الخشب هذا ؟

— خشب حفرى طبعاً .. خشب تحجر بفعل مياه البحر ..

— إنَّه هو ثقيل كالحجارة ولن يطفو

دون كنمة أمسك عمى واحدة من هذه الأحشاب وأنقى بها فى الماء فهبطت . ثم عادت تطفو فى رزاة ..

— هل أقتنت ؟

— لا أصدق لكنى أقتنت ..

وانتهى الطوف فى مساء اليوم التالى بفضل مهارة دليلنا .. وبعد نصف ساعة كان يسبح فوق مياه (بحر لينبروك) ..

• • •

شرعنا نمخر المبد و (هاتز) ينحكم فى اتجاهنا بواسطة دفة صغيرة اصطنعها لنا .. أما شراعنا فكان سجادة صغيرة عنقناها على سارية صغيرة فى منتصف الطوف .

كان الطوف متيناً .. ولقد وضعنا عليه طعامنا وأجهزتنا ومناعبنا والكثير من الماء دون قلق ..

أما الريح فكانت قوية بشكل غير عادى بسبب ثقل وزن الهواء ، مما جعلنا نتحرك بسرعة تسعين ميلاً فى اليوم .. وتوقع عمى أننا سنصل سريعاً إلى الجانب الآخر .. وطلب منى أن أدون يوميات تفصيلية عن اتجاه الريح وسرعتنا والمسافة التى نقطعها ..

الجمعة ١٤ أغسطس :

الريح شمالية غربية . لقد اجتزنا مسافة تسعين ميلاً بعيداً عن الساحل .. لم تتغير شدة الضوء .. السحب فى السماء لها لون الفضة .. درجة الحرارة اثنان وثلاثون درجة ..

جرب (هاتز) أن يربط قطعة من اللحم فى سنارة ورمهاها بحمل إلى الماء .. وطفق ينتظر ..

وهنا — ولدهشنا — شرع شيء ما يجذب السنارة فجذبها (هاتز) سريعاً ، وكانت هناك سمكة تتدلى منها .. سمكة لها رأس مسطح مستدير .. وليس لها أسنان ولا عينان ولا ذيل .. أما جسمها فمغطى برقائق عظمية سمكية ..

— ما أغربها سمكة !

قال عمى ، وهو يتأملها :

— بالفعل . إنها سمكة مقرضة من ملايين السنين .
سمكة من العصر (الديفونى) ١ . وإنها لمعجزة أن
نجدها حية ترزق ..

شرع (هاتز) بحرب حظه مراراً . وفى كل مرة
يجد أسماكاً أخرى كلها — أو كنا نطش أنها — منقرضة ..
لكنها صالحة كي تدخل قائمة طعامنا بكل ترحاب .

إن هذا السمك لدليل بثير للرحب ..
ألا يعنى ذلك أن هناك احتمالاً أن تلقى بين لحظة
وأخرى واحدة من تلك الرواحف المريعة التى عرفتها
الأرض من ملايين السنين ١٢

بدأ هذا الهاجس ينفص على حياتى ويملاً لحظات
شرودى بالكوابيس والوحوش المفرعة ..

السبت ١٥ أغسطس :

لم يتغير شيء . وما من أرض على مرمى البصر .
عفى يكاد يجن عيظاً وهو ما لم أفهمه . إن
الرحلة تمضى بسرعة وسلام ، فماذا يضايقه ؟

— هل هناك شيء باعفى ؟

— بل لا شيء . وهذا هو ما بصايقتى .

— لكننا نتحرك بسرعة ..

— نعم بسرعة . لكن هذا البحر لن ينتهى . ونحن

لا نهبط أى أن كل هذا وقت صانع ..

— ولكننا نقتفى أثر (ساكنوسم) ... و ...

صرخ فى عصبية :

— هذه هى المشكلة ١ . هل حقاً نحن فى مسار

(ساكنوسم) ٢ . هل قبل هذا البحر ٢ .. هل عبره ٢ ..

لا دليل على ذلك ..

قلت فى هدوء :

— على كل حال لا داعى للقلق . إن كل ما نراه

جديد .. والرحلة تسير على ما يرام تماماً .

— لكننا لا نهبط !!

وفى هذه اللحظة ذكرنا (هاتز) أن هذا هو مساء

السبت وأنه يجب أن يتقاضى أجر الأسبوع ١

• • •

الأحد ١٦ أغسطس :

كعادته حاول عفى أن يسير عمق البحر . أمسك

بمعول ثقيل وربطه بالحبل وبدأ يدلى به فى الماء ..

انتهى الحبل ولم يظهر أن هناك عمق لهذا البحر . !

إلا أن شيئاً أثار قلقنا حين رفعنا الحبل . إذ أشار

(هاتز) إلى علامات معينة على قبضة المعول الخشبية ..

وهنا :

— قاتدر !..

لم أفهم .. لكن عني صاح :

— أسنان !

الاثنين ١٧ أغسطس :

لم تزل فكرة الأسنان لا تبرح خيالي .. ظلمت أرمق البحر في قلق ، ثم بدأت أتفحص الأسلحة لأطمئن على أنها بحالة جيدة .. لاحظت عني ما فعلته فابتسم كأنه يقول : إننا نشترك في نفس الفكرة ..

يجب أن تكون حذرين ...

الثلاثاء ١٨ أغسطس :

جاء الليل أو بمعنى أدق شعرنا بحاجة للنوم .. استيقظت على صدمة مروعة . لقد ارتفع الطوف بقوة ما .. ثم هوى فوق الأمواج مرة أخرى على بعد مائة قدم ..

أشار (هاتز) إلى جسم عملاق يتحرك علواً وهبوطاً على مسافة منا .. فصرخت :

— إنه خنزير بحر عملاق !

قال عني وهو ينظر في نفس الاتجاه :

— حقاً .. وهناك سحلية مائية هائلة الحجم كذلك ...

— وتمساح ضخم .. انظر إلى أسنانه !..

— هناك حوت كذلك !.. إن الماء ينبثق من نافورته ..

أدار (هاتز) الدفة ليهرب من حديقة الحيوانات العملاقة هذه . لكنه فوجئ بحيوانات أخرى آتية من الجهة اليسرى .. سلحفاة مائية . وأفعى طولها ثلاثون قدماً ..

لقد غدا الهرب مستحيلاً .. إن هذه المخلوقات تتحرك جينة وذهاباً حولنا .. ولا جدوى من إطلاق الرصاص لأن جلد هذه الأشياء لن يكون أقل سمكاً من الدروع .. وهنا هزّ (هاتز) رأسه .. وهتف :

— تقاً ... !

— يقول إنهما حيوانان فقط !

— إنه يهذي يا عني ...

— لا .. هو مصيب .. حيوانان أحدهما له قم خنزير بحر ورأس سحلية وأسنان تمساح وهو حيوان شنيع اسمه (إكتيوسوروس) ..

— والآخر ؟

— حيوان ذو جسم سلحفاة وعنق أفعى اسمه

(بليسيوروس) .. وهما على وشك الدخول في صراع .. نعم .. انظر !..

لقد التحم الحيوانان في صراع شرس لا يوصف .. وأخذت الأمواج تتحرك كالجبال نحونا ، لكننا لم نكن نملك سوى أن نتجمد في أماكننا .. ساعتين كاملتين من

القتال المريع حتى تحرك الحيوانان غاصين تحت الماء
غائبين عن عيوننا ..

وفجأة انشق (التيسوريوس) من تحت الماء .
الدم ينز من جروحه ورأسه تتمايل هنا وهناك .. ثم
هو فوق سطح الماء فاقد الحياة . أما الآخر فاحتفى ..
هل مات ؟ هل سيعود ؟ هل ينتظرنا تحت الأمواج
في هذه اللحظة ؟

لم نجد إجابة لهذه الأسئلة المفزعة .

• • •

الأربعاء ١٩ أغسطس :

وقف (هانز) على قمة الصارية يرمى الأفق . وقد
بدأ أن هناك ما يثير اهتمامه . فقال عني :

— إنه يرى شيئاً ما ..

— أظن هذا ..

ثم إن (هانز) نزل إلينا وأشار نحو الجنوب .

— دير فوبر ...

— أسفل هناك ؟ .. فلنر ما يريد .

ونظر عني في حيرة تحاه الجنوب . ثم هتف :

— ثمة نيار مائي قوى . نافورة تندلع من الماء إلى

أعني ..

— أترأه وحشاً آخر ؟

— ربما ..

— الآن دعنا نفرّ ..

— كلاً .. ليس قبل أن نرى ما هناك ..

وهكذا . مررنا بالطبع . شرعنا نقرب من هذه
النافورة . أي نوع من الحيوانات يمكنه ذلك ؟

وفي الثامنة مساء كنا قد اقتربنا جداً . كان شيئاً
ضخماً كالجبل وأمواج البحر ترتطم به والماء ينبثق
منه إلى ارتفاع خمسمائة قدم ، ثم يتساقط على شكل
مطر فوق رءوسنا ..

— ما هذا يا عني ؟

لم يرد عني . في حين انتابني الهلع . أي شيء
هذا ؟ وهنا وقف (هانز) مشيراً إلى الخطر . وصاح
وهو يهتسم في مخزية :

— هو لم !

صرخ عني :

— جزيرة .! . مجرد جزيرة ! وهذا للماء نافورة
طبيعية تنبثق منها . وهي تبدو كحوت عملاق نائم .

وشرعنا ندور حول الجزيرة ننأملها . وأسماها
عني باسمي .. ثم أمر (هانز) بمواصلة الرحيل

• • •

الجمعة ٢١ أغسطس :

كنا الآن تحت أنجشترنا وعلى بعد ١٨٠٠ ميل من

(أيسلندا) بدأت الريح تزداد قسوة وبدأ أن الجو
يوشك على التبدل .. وبدأنا نشعر به مشحوناً بالكهرباء ..
والسحب قد اكتست لوناً شاماً فيه شيء من الاخضرار ..
والظلام يتزايد ..

إنه نذير عاصفة ...

لم يبد على عمى الاهتمام لأن مراحه لم يكن ليتحمل
مزبداً من الاكفهرار .. وقد دمرت أعصابه تماماً فكرة
أن هذا البحر مستمر إلى الأبد ..

السحب تضغط على صفحة البحر ، كأنما لتريد
تخطيمه .

— دعونا نزل الشراع والصارية ..

— كلاً ..

صرخ على في جنون :

— أريد رؤية صحور الشاطئ حتى لو تهشم هذا

الزورق إلى قطع صغيرة !

• • •

٧- بعض المصائب !..

لم يكد على يكمل عبارته حتى انهزم المطر مدراراً .
وازداد الظلام .. وفجأة يرتفع الطوف لأعلى . وتدفع
الريح المجنونة شراعنا للأمام أسرع وأسرع . فأشير
لـ (هانز) بإشارات تقول له أن ينزله لأسفل . قبل أن
يتحطم ..

— لا ..

بصرخ على . فيرد (هانز) وهو بهز رأسه موافقاً
على :
— نادى !

المطر ينهال على رؤوسنا كالشلال . والعاصفة في
ذروة هياجها .. والرعد يزار طيلة الوقت دون توقف
الحرارة تزداد وتزداد .. والحو مشحون بالكهرباء ..
والعاصفة لا تهدأ ...
كانت ليلة رهيبة ..

الاثنين ٢٤ أغسطس :

العاصفة لم تهدأ لحظة .. رباه .. لكم نحتاج للراحة !
لقد تركنا جزيرة (أكسل) منذ زمن طويل . ربما
بفصلنا عنها الآن ستبائة ميل ..

هو ذا عني يدنو مني ويقول شيئا ما لكننا منذ
ثلاثة أيام لا نسمع حرفا مما نقول لبعضنا حتى
الصراخ في الأذن لا يحدى إلا أنسى اعتقد أنه يقول .
لقد ضغنا .. انتهى أمرنا ..
أشرت إلى الشراع بما معناه :
— دعنا ننزله الآن ..

فهز رأسه بمعنى : فليكن . وهنا تهشمت صارية
الشراع وطار هذا الأخير في الهواء وظهرت كرة
نارية ملتهبة على حافة الطوف .. كرة لونها أبيض
مررق تتحرك ببطء شديد هنا وهناك .
وتجمد الدم في عروقنا لأنها لو لمست صندوق
البارود ستكون النهاية إلا أنها تحركت ببطء نحو
قدمي حاولت أن أحب قدمي بعيدا عنها فلم أستطع .
وشممت رائحة غريبة في الهواء ..

لماذا لا أستطيع تحريك قدمي وكأنها مقيدة إلى خشب
الطوف ؟

فهمت ! لقد مغنطت هذه الكرة الكهربائية كل ما هو
معدني على الطوف . أسلحنا أدواتنا .. حذائي الذي
لصق بقطعة حديد على خشب الطوف

وهما — وشيل أن تلعب الكرة قدمي — انفجرت .

وغرقت في ضوء أبيض مفرع ..
ثم صلا الظلام ...

• • •

الثلاثاء ٢٥ أغسطس :

لا بد أني فقت حواسي هل حدث ما رلنا في الماء ؟
نعم مازلت سميع للألم بمرعة مرعة . لا بد أننا
الآن تحت . لا يل لا بد من فارق (أو با) من رمن ..
نمة صخب كأنه زسر الأمواج إذ تصفلم
بالصخور .. و ...
لم أدر ما حدث ..

فقط شعرت أنني كسيف ألسر شاذن فوق المسحور
الحدة . وثولا ذراع (هاتز) انقوية لتهشمت
عنى الشاطئ وجدت نفسي حوار عني على حين عاد
(هاتز) إلى سطوف نعيشه محاولا إبقاء بعض مدعنا
واحجب لى سعة كمنه لا سمع قد رنى عنى الكلام .
وكان (هاتز) قد أعد لى بعض الطعام إلا أنى لم
استطع ابتلاع لقمة واحدة لقد حطمتى رحمة الشرلة
أيام دون توقف ..

لقد انتهت العاصفة أخيرا ..

وقف عني يدمر البحر الساكن وقيل
— أمل أنك قد نمت جيدا يا بنى !

إنه يتحدث كأننا ما زلنا في دارنا في شارع
(كونيش) . اه... !. لو أن العاصفة قد سارت بنا
شرق فربما كنا الآن تحت (ألمانيا) . تحت (همبورج)
الحبيبة . بل لربما تحت الشارع الذي تعيش فيه أجمل
وأرق فتاة في الكون ! وعندئذ لا يكون الفاصل بيني
وبينها سوى ١٢٠ ميلاً .. ١٢٠ ميلاً من قشرة الأرض
الصلبة !

قلت لعمى :

— تسود سعيداً حقاً اليوم ...

— بانطبع . لقد وصلنا ؟

— لنهاية الرحلة ؟

— كلا . بل لنهاية هذا البحر الشنيع . سنعود

للهبوط .. !

تحدثت ، ثم سألته بكياسة :

— هل لي في سؤال يا عمّاه ؟

— أي شيء ..

— كيف سنعود ؟

— نعود ؟ نعود قبل أن نصل لنهاية الرحلة ؟ كيف

تفكر في ذلك ؟ وعنّى كل حال سنجد وقتها طريقاً آخر ..

او نعود من نفس الطريق ، وهو ما لا أراه أمراً مشوقاً !

— عندئذ يجب أن نصلح الطوف ؟



تسود سم - بي قدوف . في الشدوى شرق لصحور الحادة ولولا

فراع (هاتر) القوية لتبسمت .

— طبقاً ..

— وللمؤمن .. هل متكفينا ...؟

— حسب () ...

الواقع أن هذا صحيح تماماً ...

لذلك نكتب بهذا () ... وهو ما قد عني أحمد
شيء في الرحلة لأنه ربما نوجد في عمق ... ومن
روية ...

في (أستراليا) .

كانت تلك () ...
والجمال ...
وهي ...
... وحده ...

وجلسنا نلتهم طعام الإفطار .

صائب عيسى ...

فقال :

— نفس ...

... لا ...

— عند تلك الجزيرة ...

— ... لا ...

— حسب ... عند جزيرة (أكسل) كنا قد عبرنا ٨١٠

ميلاً من البحر وكنا على بعد ١٨٠٠ ميل من (أيسلندا) .
وفي انعطافة تحركت بسرعة ٢٤٠ ميلاً في اليوم لمدة
ثلاثة أيام ...

— من نحن بعد ٢٧٠٠ ميل عن (أيسلندا) . أي

أنا تحت البحر الأبيض المتوسط ..

— نقول ذلك يجب أن نكون متيقنين من أن اتجاهنا

لم يتغير

— لأن ...

نبتس على ... إلى حيث رتب (هتزر) المعداد .
وبعد إلى ... ونظر إلى ... ثم
فرك عييه ... وفي زهول رفع رأسه نحوي
كانت ...

لها لا تشير إلى ما حسبته الجنوب ...
فحصتها ...
وحداً . أن الرياح قد أعادتنا إلى الشاطئ الذي بدأنا
الرحلة منه !! لقد عدنا إلى حيث بدأنا .

ثم أر في حياتي رحلاً أكثر إحباطاً من عني في البداية
ولا أكثر منه جنونا بعدها . متعب كل ما ففقدناه بعد كل

هذه الرحلة المرعبة !!

— أي حطسني .. الماء والنار والريح ضدي .. !
يفعلون كل ما في وسعهم كي يمعونتي .. ولكنهم لن
يمعوني أبداً .. سنرى من ينتصر . الإنسان أم قوى
الطبيعة !

قلت في كياسة :

— اسمعني يا عماء .. ثمة أشياء لا يستطيع الإنسان
أن يفعلها . ثمة أشياء مستحيلة وأشياء غير ممكنة ،
لكن من الحق أن يجاهد الإنسان هذه الأشياء
المستحيلة . لسنا في موقف يسمح لنا بعور البحر
ثابتة بطوف مهتم وشرع هو سحابة ودون بقعة .
عندئذ يستطيع أية عاصفة أن تصنع بنا ما تريد .
وبالطبع لم يصنع عمي لحرف مما قلت . وصرح

— إلى الطوف !

شرعت أقوم في جنون هذه الإرادة لصخرية دون
جدوى .. وكان (هانز) — بفطرة لا تحب — قد أعد
اصلاح الطوف ووضع معدتنا فوقه وأعد كل شيء
لبداية جديدة ..

منذ استطع أن أفعل " . إن (هانز) يبدو وكأنه
لا إرادة له إلا إرادة سيده . لا يستطيع سوى الاستمرار .
قال عمي أنه يرعب في استكشاف هذا الساحل قبل
الرحيل . نأخذ معنا لحيت بدانا لكن — بالطبع — ليس

لنفس النقرة . ومن حقه حتماً أن يرى هذا المكان ..
— فنتذهب إذن ...

سرنا نحو نصف ساعة قبل أن نصل لبعض
المرتفعات .. نرمق كل شيء في اهتمام عظيم ..
وهنا وجدنا عظاماً كثيرة على الأرض كأنها تحكي قصة
الحياة كلها .. كأنه متحف كبير للحيوانات التي دبت
على هذه الأرض يوماً ثم انقرضت ...

أما الشيء الغريب الذي لاحظته في سيرتنا فهو أننا
لا نتحرك ظلالاً على الأرض ! كان الضوء الساطع
الذي نراه لا يأتي من موضع بعينه .. بل من كل
الاتجاهات ..
وبعد أن سرنا نحو ميل وجدنا أنفسنا على حافة
غاية ..

لم تكن من عثر الغراب تلك الغابة . بل من أشجار
لا أعرفها .. ولم يكن لها لون وأوراقها تفقر إلى
الأحضر ... أما أزهارها فكانت رمادية ...
وفجأة ... تجمدنا في مكاننا ...

خيل لنا أننا رأينا .. بل هو كذلك ... رأينا شكلاً
ضخماً يجول تحت الأشجار . كان فيلاً هائل الحجم
يكسوه شعر طويل . (ماموث) ! . فيل عصر الجليد .. !
بل كان هناك العديد منها . ما يقرب من العشرين فيلاً

ببحر كور سنده محطس غصان لاشدر

۱. همس عمنی :

— تعالوا نلقی نظرة منققة عليها ..

— ان مد حنظر شمس معنا ساحة وهو انها
رئسا ان لا احسب انسا بحرو على نسو ميب
— هل يقول لا يسس يا اكسل (اكسل) صنتك مخفف
لا تلي اراء السلا فرب هذه الحيو باب
لقد كان مصيب وعنى مسافة ربع منزل كان هناك
رجل ما يد نفسه الى حدح شجرة رجل حقيقى
وان كان حجمه يناسب مع عدد موجودات التي يعنى به
وشعره حدنى شعرا طولا

وولما حد من كسمشع لبحريه

لا يحب ان يد يد شمس، يحب ان يد

حدس كم عمنى شمس كى سنده واول مرة فى
حدسه سمح عمنى سنده ان سمح حدس كعه
و سنده

— ان عمنى شمس سمح عمنى شمس
وان سمنى سنده لا يد ان يد سمنى
من سمح حدس ان سمح حدس ان سمح حدس
ان سمح حدس ان سمح حدس ان سمح حدس

العهد اننا فرنا كالمجانين قاصدين بحر (اليدنبروك) .

• • •

سعدى عمنى فى حيرة وهو يعيد تأمل المكان :

— ما زلت انسا على يا (اكسل) . هل حقا كنا هنا ؟
— نست ونقا يا عماد احبنا لظن ان هذه الاسكن
مانوقة ، وحياتك لظن انسى لم ارها من قبل .
— لكنا لاند واجدون اننا تركها (هاتز) فى
اثناء صنعه الطوف ..
— ها هو ذا .

وهرعت الى شمس ملقى على الرمال والسقطة

— انظر !.. مكين ..

تأمل عمنى السكين ثم سألنى :

— (اكسل) يا بى هل هذه السكين تحصى ؟

— لا .. حسبك أنت ..

— بالطبع لا .

— بدن ربما هي مكين (هاتز) لا بد انه قدما

وهو يصنع الطوف .

— لا حتى (هاتز) لم تكن عنده مكين معشاة

ثم ان عمنى هز رأسه مفكرا :

— ان هذه السكين لا تحصى لحدنا ربما هي تعود

الى تلامذة عماد ربما هي نخص شخص جاء من قبينا

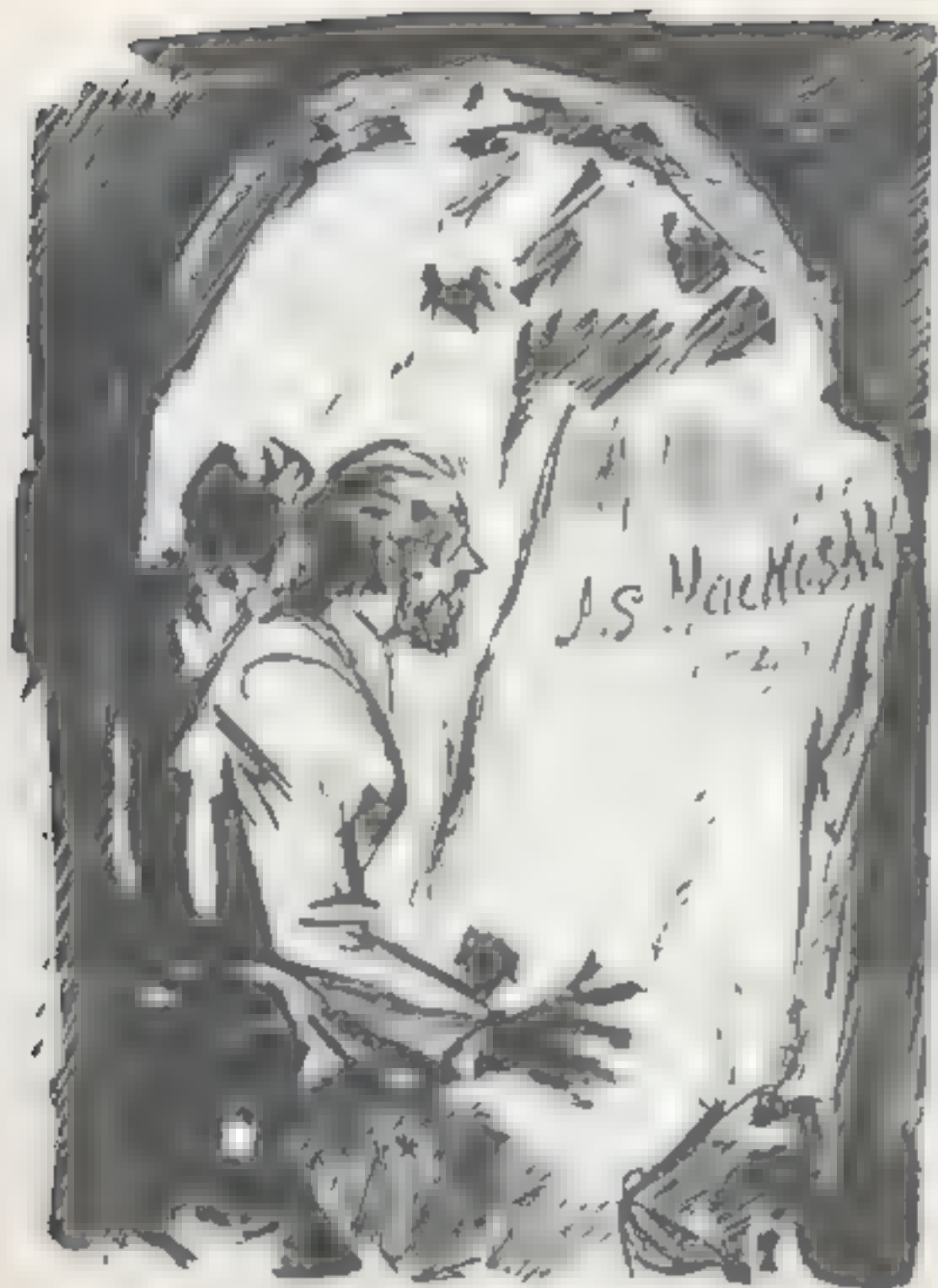
وأراد أن يحفر اسمه على صخرة بهذه السكين ...
 سر حور الصخور تحت هنا وهناك متفحصين كل
 شق وشحاة وبين حاضين من الصخور رأينا فتحة
 شق مستند كبير

وعلى الجرانيت رأينا حروف محفورة مألوفة لنا .

— أ . س . . (آرنيه ساكنوسم) !!

دائما — وكعبت به — يعود (ساكنوسم) الظهور
 وهكذا وقف يرمق الحروف في النهار هو أقرب إلى
 الحنون لقد وصل الرحلة العظم ' إلى هنا منذ
 ثمانية عدا وحفر اسمه بل إن الأداة التي استعملها
 في يدي لا — ولكن هذا حققي لا عار عليه !!
 كان عني بحث نفسه وكنما يتحدث إلى (ساكنوسم)
 نفسه :

— بها لرجل اعظم لم تنس شيئا . يمكن أن
 يدي من يدي بعد لم تنس شيئا . وانني لو، شق
 اسمي سأخذ اسم شي مركز الارض . وسأترك اسمي
 هناك جوار اسمك ..



وشحاة وبين حاضين من الصخور رأينا فتحة شق مستند كبير
 وعلى الجرانيت رأينا حروفا محفورة ..

١ - النهاية ...

صرخت في عسى بانبهار حقيقي :

- هل تدرك يا عسى أن المصادفات جميعها تعمل لصالحنا ؟

- أنظن هذا يا (أكسل) ؟

- حتى العاصفة قدتنا إلى الطريق الصحيح لقد
قالت " - بعد اسم (ساكوسم) وإلى حيث نجد
بداية النفق الذي ملكه ..

- تحقق أقول لك يا (أكسل) إن خطنا حسن إلى حد
كبير ..

- ليس مهما أن نفهم ما سر خطنا فقط دعنا
نستفيد منه إلى أقصى حد ..

- هذا صحيح .. و ..

- صعودا لشمال يا عناه سمر تحت أوروبا بدلاً
من المرور تحت أفريقيا سنزل ننزل سنزل
قلت لي كم بقي على مركز الأرض ؟

- فقط ٤٥٠٠ ميل .. !

- فقط ٤٥٠٠ ميل ؟ هذا لا شيء . فننا في
الحال .. !

كانت نار الحماس تشتعل في أعماقي .

انسا سنجح سنجح ولن يعوقنا شيء فلننا أقل

من هذا الرجل :

- إلى الأمام يا عناه .. إلى الأمام !!

- بل لأسفل يا بني .. لأسفل .. !

• • •

وهكذا عدنا نرى الطوف حيث كان كل شيء معداً
ورفعنا السراع وبدأنا التحرك عبر الساحل قصدين
المكان الذى وجدنا السكين فيه ..
فى الساعة مساء وصلنا إلى فتحة النفق ، فوثبت
إلى الشاطئ صارخاً :
— هيا بنا ..

كان ارتفاع الفتحة خمسة أقدام . هذا هو النفق
الذى سبقوا إلى مركز الأرض أين . هل هو منحدر
لاسفل " أم هو منحدر رأسية " أم أنها ستمضى أياماً
مأسية فى مستوى انحنى دون أن يهبط ؟
وكانت الإجابة قريبة جداً ..

كنا فى تلك الصحراء عملاقة نسد النفق على بعد
خطوات ست من فمحه . أى أن النفق قد انتهى !!
كانت حيلة أملي لا بوصف . إذن كيف احراز
(سكويسم) هذه العقدة " وفى شيء فعل " .
كلاً لا بد أن هذه الصحراء قد سدت النفق بعد عهد
(سكويسم) ومن ثم لابد أن نعيد فتحه ..
فستعمل نفعول .

— كلا . إن هذه الصحراء أقوى من معاوننا . ماذا
عن البارود ؟
— قال عتي :

— هذا هو الحل .. بارود .. هاته يا (هانز) ...
ذهب دليلنا الوفى إلى الطوف ، ثم عاد لنا بالبارود
ومعول يسمح لنا بعمل ثقب ندم فيه البارود فى
الصخرة .. خمسين رطلاً ...
وعند منتصف الليل كنا قد فرغنا ...
— والآن لننتظر إلى غد ..
— إلى غد ؟

كنت أنا — لا عتي — قائل العبارة الأخيرة . لأنني
كنت أنا نافذ الصبر وليس عتي الذى غدا أكثر ميلاً
للتريث فى كل خطوة ...
وهكذا لم أحد مفراً من الانتظار ست ساعات طويلة .

• • •

إنه الثلاثاء السابع والعشرون من أغسطس .
يوم لا يسمى ...
اليوم نسلم أنفسنا لقوى الريح والنار والعاء كى
نعنى بنا ...

أشعلت الفتيل ، ثم هرعت الحق برفيقى على الطوف .
وابتعدنا بعيداً عن التأثير المرتقب للانفجار .
خمس دقائق . أربع . ثلاث .
والآن فنتهشمى يا صخور الجرانيت .

• • •

ماذا حدث ؟ ..

لا أدرى حقاً . لم أسمع صوت الانفجار لكننى رأيت
شكل اتصهور ينسل . والفتحة تتسع . واهتز البحر
من تحت . وصعدت موجة هائلة التحرك لأعلى حاملة
طوفنا معها

ارفع الطوف ثم هبط . سلا الظلام . وشعرنا
بالماء يحملنا إلى فتحة الممر . حاولت أن أقول شيئاً
لعمى لكن رسير انبده كل نفوى منى . عبر الظلام
محملنا الامواج بسرعة محبوبة إلى مكان ما .

أنا نهبط . إن كانت هناك حفرة عميقة خلف
السخرة . والآن يعوسب الماء من حيث هذه الحفرة
لأسفل .

كم ساعة مرت علينا فى هذا الحال ؟ ساعة
ساعتين ؟ لا أحد يدري . كل ما أذكره أننا كنا
ملاصقين بمسك بايدي بعضنا حتى لا يهوى أحداً من
فوق الطوف

وكان الظلام دامساً لال مصابيحنا تهنمت
أحدث أنا وعمى نسل نظرت اللمع مديرين ظهرنا
لأنحاء حركة الطوف حتى نتمكن من التنفس .
كان الطوف يسير بسرعة كأسرع قطار لم يختر عود

بعد .. إن (ساكوسم) قد سلك هذا الطريق قبلنا ولكن
دون البحر الهائل الذى اصطحناه معا .

ومرت ساعات ..

وبصعوبة بدأت أتبين أننا فقدنا كل مناعنا . الحال ..
المارومتر . كل شيء . لم يبق لنا سوى البوصلة
والكرونومتر . وطعام ليوم واحد . للأسف — وهذا
يعنى النهاية حتماً

لكن لماذا أحشى الموت جوعاً فى حين أننى أملك
ترف الموت بعينات الأساليب والأشكال ؟ أنا سنموت
غرقاً أو تحطماً أو هلعاً بالتأكيد قبل أن نموت جوعاً ..
إن سرعة الطوف تزداد . وانحدار الماء يزداد ..
وفجأة شعرت بصدمة مروعة . وتوقف الطوف ..
بدأت المياه تنهمر حولنا . ثم ساد الهدوء . وشعرت بلذة
التنفس

كانت الساعة العاشرة ليلاً .

ثم إننى سمعت صوت عمى فى الظلام .

— نحن نصعد

— ماذا ؟

— نصعد . نصعد بسرعة عالية . حاول أن تضيء

المصباح الباقى هكذا . كما توقعت تماماً .. إنه

ينر عرضه عشرون قدماً . والماء يرتفع ونحن معه .

— لاين ؟ ..

— وكيف اعرف ؟ إن سرعتنا لن تقل عن اثني عشر قدم في الثانية أي تسعة أميال ونصف في الساعة ..

— ولكن هذ يعنى أننا سنتهشم مائم نوجد فتحة فوقنا .. قال عمى فى رزائه :

— (كسل) إن موقفنا سيئ حتمًا لكنه ليس مستحيلًا ما دم احياء ولهذا علينا أن نعمل ما يسفى عمله

— وما هو ؟

ان نصير أقوى .. ناكل ...

— ناكل !!؟

ولفت عمى إلى (هانز) رضا بالانمركية بضع كلمات فهر هذا الاحير رأسه موافق قلت لعمى :

— لم يبق لنا سوى قطعة من اللحم المقتد لثلاثتنا .. رفع عمى رأسه بحوى فى باس فقلت :

— أما زلت تظن أننا سنتجو ؟ ..

لم يرد .. وكيف يرد ؟ ..

ك مسور حوعا كن أحنا لم يجرو على لمس وحننا الاحير ك مسمرين فى الصعود لكن حرارة

الجو تزداد بين لحظة وأخرى ..

فما معنى هذا ؟ ..

قلت لعمى فى تشفا :

— إن خطر الموت سلفًا بضاف إلى قائمة أسباب وفاتنا ! ..

مرة أخرى لم يرد عمى ..

وفجأة قال :

— هلموا ! دعونا نأكل فنحن بحاجة للصمود .

— أنت محق فلو متنا الان لن نستفيد شيئًا من هذا

اللحم الجيد ..

— نعم . على الأقل سنلاقى نهايتنا بصحة لا بأس

بها ..

ومذ عمى يده وقسم قطعة اللحم ثلاثة أقسام متساوية وهكذا نال كل منا رطلًا وشرعت اكل فى صعوبة كأتى التهم حجرًا .. أما (هانز) فطبل على هدونه وسكونه ..

إنها الخامسة صباحًا ...

كنت غارق فى خواطرى عن دارنا و (مارتا)

الطيبة و حبيبتي (جرويين) أما عمى فكان

منهمكًا فى فحص الصخور محاولا استنتاج موضعنا

وقال :

— حرانيت ١ لم نزل على عرق كسر لكننا نصعد
باستمرار لشد ما نل عني ١ تارة لا يسعد سوى
الهبوط وتارة لا يرضيه سوى الصعود ليس اليهم هذا
الرجل أبدا ١..

الا أن الشيء الذي اسار رعى كان هو هذا السبل
المطرود في درجة حرارة الحذران الصخرية والماء لقد
كان الماء يغلي وشرع بتوقع مصيبة ما لا أدري
كنها

شيء ما سيحدث شيء لا أستطيع تسميته

• • •

وحين نظرت إلى الوصلة وجدت أنها تهتز بلا
هدف صخرو الحرائيت على الحذران ترتحف وتمع
صوت شبيه بصفحات بعيدة بالمرعب ١ عني ١
إننا في وسط الرال أنا وإني من هذا لماذا نقول ؟

— إني أوقع ما هو السبل يا بني

— ماذا تعني ؟

— أحس انفجار خفيا

— ماذا ١ من فمس وسط ركن تشييط ١٢

— سطيع وحق أن هذا خط حسن ١

فل قد عده ١ خط حسن ١ وما سر انسانيته

الهائلة هذه ؟

— عني نحن في فوهة بركان وسط الحمم والبخر
الحريق والصحور المتهبة و سيقف بنا في غسان
السماء .. وأنت تقول حظ حسن ١

— نعم هو أمنا الأخير في الصعود لسطح الأرض

ألم تفهم بعد ١٢

— من شحز نصعد تحت طوفان ماء يغلي
وتحت الماء حمم تلتهب وبدلا من (سنبيل) الوادع
الحمد هو ذا بركان نشط ولكن أين ؟ وما اسمه ؟ ..
إننا سنخرج في الشمال هذا مؤكد فهل سنخرج في
(أيسلندا) من فوهة (هيكلا) أو أي بركان آخر من
البراكن السبعة التي توجد هناك ؟

ببصعد . وهذا يعني نهاية رحلتنا إلى مركز
الأرض

وتحت الطوف لم بعد ماء بل كلة ملتهبة لا أدري
ما هي ..

ثم — فجأة — توقف الطوف ..

ماذا حدث ؟ أراه قد انكسر بالصحور ١ لكن لا .
حتى نسأل لعلهم تحسنا قد توقف كذلك هذا غريب !
ولحاة عاد الطوف بصعد صرعا لمدة دقيقتين ، ثم
توقف ثانية . نظر عني لساعة الإنقاذ وقال :

— إذن هو من البراكين التي تتجدد ثورتها كل عشر دقائق ..

وهنا عاد البركان لثورته وعدنا نرتفع بسرعة هائلة اضطررنا للتشبث بالطوف ثم توقفنا كم من الوقت تكرر هذا المشهد ؟ لا أذكر .. فقط كنت أشعر بمرعتنا تتزايد والحرارة تشتد . وبدأت أفقد حواسي . لقد هدأت التوتر والصدمات العتالية .
حقاً لا أذكر ما حدث بعد ذلك ..

فقط ضوضاء لا تكف وطوف يدور حول نفسه فوق الحمم ثم وجه (هانز) يلتصق في ضوء النيران .

• • •

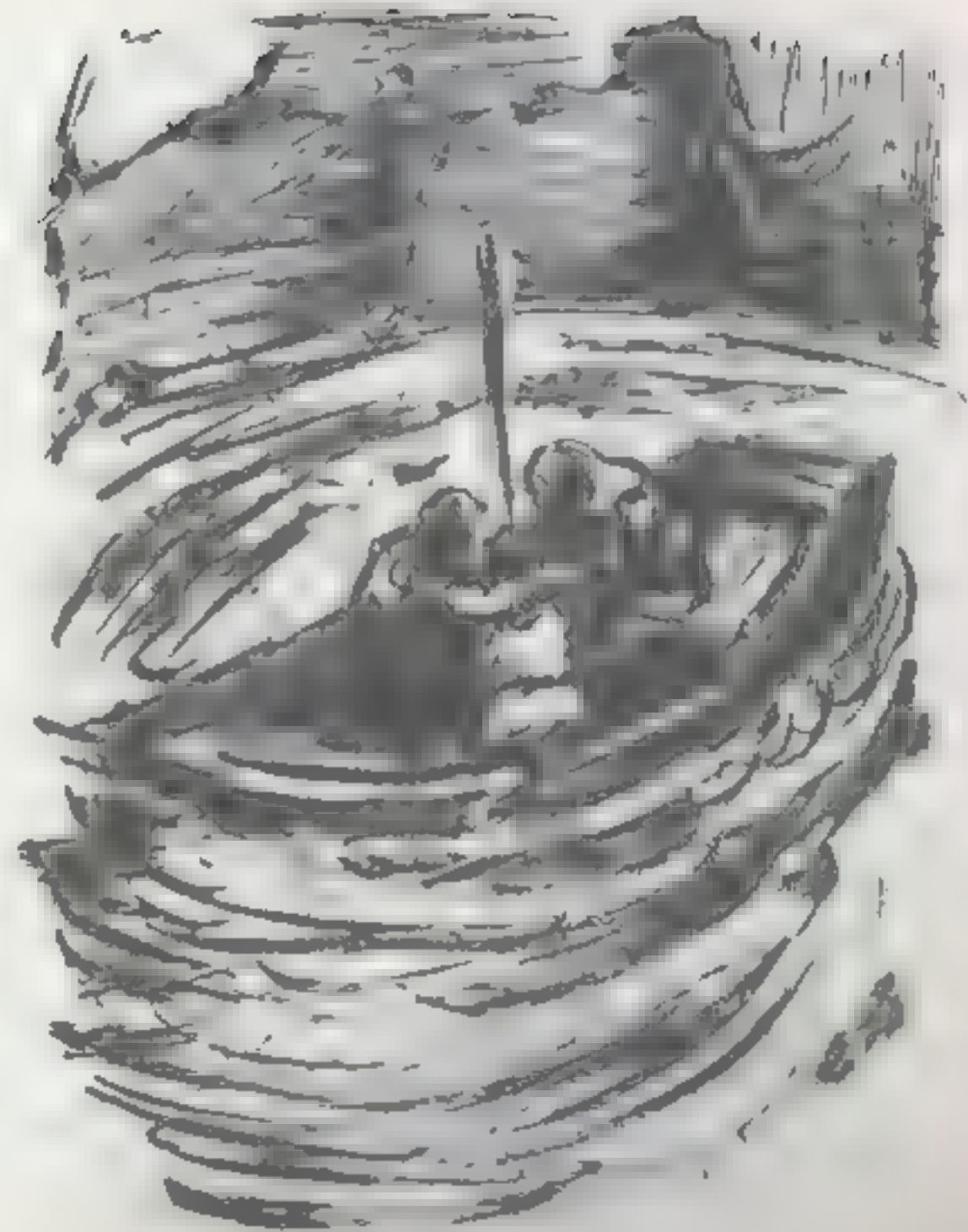
حين أفقت كانت ذراع (هانز) القوية تمسك بي . ولم أكن مصاباً . لكني كنت منهكاً تماماً تماماً .
وكن (هانز) يمسك بي ويصني جراً أينا إلى مكان آمن مكان عرفنا فيه أن ما فوق رأوسنا ليس صخوراً ولكن سماء ! ..

سماء حقيقية .. ! .. !

لقد عدنا إلى سطح الأرض .. ولكن أين ؟ سألت (هانز) ..

— هل هذه (أيسلندا) ؟

هز (هانز) رأسه أن لا .. وهتف :



أما نحمد .. وهذا يعني نهاية رحلتنا إلى مركز الأرض ..

— ساي !

قال عني في حيرة :

— بالفعل لا تبدو هذه مثل (أيسلندا) .. لا توجد
ثلوج .. بل هي أقرب إلى قمة جبل أحرفتها أشعة
الشمس .. وإلتي لمندمش !

وفوق رؤوسنا — على ارتفاع خمسمائة قدم — كانت
فوهة البركان التي جلبنا منها .. تنفجر منها الحمم
والصخور كلما مرت عشر دقائق ... وعلى مسافة غير
بعيدة نראה لأعيننا الحقول البعيدة .. وخضرة الغابات ..
حقاً هي ليست (أيسلندا) ..

من مسافة شاسعة كنا نرى البحر الأزرق تسبح فيه
سفن صغيرة غريبة المنظر ..

— على كل حال ليس من الجميل أن نموت بصخرة
تسقط فوقنا من هذا البركان الثائر بعد أن نجونا من
الاحترق داخله .. دعنا نزل إلى الوادي وستعرف
مكاننا بسهولة عندئذ .. أضف لهذا أنني أموت جوعاً
وقمناً ..

هكذا قال عني .. كان كلامه مقتعاً ..

شرعنا نهبط المتحدر وأنا ما أزال أتساءل .. أين
نحن ؟ هل هو ساحل الهند أم جزر الملايو ؟ .. على كل
حال يسرني أن أرى أن عني سعيد برغم أننا لم نستطع
الوصول إلى مركز الأرض كما أردنا ..

وعند الوادي وجدنا غابة تنبت بها أشجار الفاكهة ..

وجدنا ماء .. فشربنا حتى ارتويينا .. واستحممنا ..

وفجأة لمحنا طفلاً بين الأشجار .. طفلاً فقيراً ممزق
الثياب يرمقنا بهلع حقيقي .. ثم حاول الهرب إلا أن
(هانز) لحق به وحمله إلينا ..

سأله عني بالألمانية :

— صديقي الصغير .. ما اسم هذا البلد ؟

لا إجابة ..

أعاد عني سؤاله بالإنجليزية فلم يتلق إجابة ..

— إذن هذا البلد ليس ألمانيا ولا إنجلترا .. فلنجرب

الإيطالية ... أ .. دوقى نوى سيامو ؟

صرخ الطفل وهو يتملص من قبضة (هانز)

ويجري بعيداً :

— (سترومبولي) !!

لم تعد لنا حاجة إليه الآن ...!.. إذن نحن في جزيرة

وسط البحر الأبيض .. والمرتفعات المحيطة بنا هي

مرتفعات (كالابريا) .. وإذن فالبركان هو بركان (إتنا) !!

أية رحلة رائعة قمنا بها !.. دخلنا في بركان وخرجنا

من آخر يبعد عنه ثلاثة آلاف ميل ...!.. بدأنا في بلد

الصفيع وخرجنا في أجمل بلدان الأرض ..

اتفقنا على أن نمشي للبلدة على ألا نخبر الأهالي
برحلتنا .. بل نزعم أننا بحارة غرقت سفينتهم ونبغى
عوناً ..

وهكذا تحركنا .. لكن عمى لم يكن راضياً أبداً وشرع
برند :

- لكن البوصلة كانت تشير إلى الشمال .. يوماً إلى
الشمال .. كيف ؟ كيف ؟

- لا تحاول البحث عن تفسير .. هكذا تريح وتستريح ..
- يا لها من فكرة .. أستاذ جامعة لا يستطيع أن
يفسر شيئاً كهذا ؟

أى عجز ..

• • •

وهكذا تصل القصة إلى نهايتها .. أعلم أن أحداً لن
يصدقها لكن هذا لا يضاهقنى .. إن الناس قد دأبوا على
تكذيب كل ما لا يوافق ما يريدون تصديقه ..

لقد أحسن أهل (سترومبولي) وفادتنا .. وقدموا لنا
الطعام والملبس .. ثم إننا أقلعنا إلى (ميسينا) فى
الواحد والثلاثين من (أغسطس) ثم إلى (مارسيليا) ..
ولم يتغص رحلتنا سوى هذا الموقف العجيب الذى
تتمسك به بوصلتنا ...

وفى التاسع من سبتمبر وصلنا إلى (هامبورج) !

لن أصف لك ذهول (مارتا) ولا غبطة (جرويين)
التي هفتت وهي تمسك يدي :

- أما قد غدوت شهيراً فلن تحتاج إلى فراقى ثانية ..
وسرعان ما دوى خبر عودة البروفسير (ليدنبروك)
فى (هامبورج) .. فقد كانت ثرثرة (مارتا) قد جعلت
الجميع يعرفون بغرض رحلتنا .. وبالطبع لم يصدقها
أحد .. أما وقد عدنا سالمين ، فإن أحداً لم يعد يصدقها
إطلاقاً ! ..

إلا أن وجود (هانز) معنا جعلهم غير واثقين تماماً
من كذبنا .. وفى الجامعة ألقى عمى محاضرة عن رحلته ..
وقدم للجامعة المخطوطة الأصلية التى كتبها (ساكنوسم)
عن رحلته التى سبقنا فيها إلى باطن الأرض ..

على أن عمى قد كسب أعداء كثيرين (وهذا محتم
طبعاً) .. وزاد من ضيقتنا ذلك اليوم الكئيب الذى أعلن
(هانز) فيه عزمه على العودة إلى داره .. سألناه
مراراً أن يبقى معنا .. لكنه كان يعانى من الحنين للوطن ..
وقال لنا مودعاً :

- فيرفال ... !

لقد أحببنا هذا الرجل الشجاع الصموت كثيراً ..
ولولاه لما حققنا نجاحاً .. ولا ظللنا حيناً أنا وعمى ..
ولسوف نذكره ما حيينا .. ولسوف أراه حتماً يوماً ما ..
على أن سرّ البوصلة ظل غامضاً ..

وبالتالى لم يستطع عمى قط أن ينعم بثمار النجاح ..
إلى أن جاء ذلك اليوم الذى كنت أتأمل فيه البوصلة
حين فهمت على الفور ما حدث ..
يا لها من مفاجأة !

ناديت عمى :
- انظر يا عماء .. البوصلة ...! .. إنها الآن تشير
نحو الجنوب بدلاً من الشمال ...
صرخ عمى فى تعاسة :
- مستحيل !
- تأملها !

وهنا فهم عمى الأمر برمته :
- فهمت كل شيء ! .. حين واجهنا العاصفة الكهربائية
فى بحر (ليدنبروك) تمغنطت البوصلة ضمن الأشياء
التي تمغنطت .. وبالتالى حصلنا على قياسات خاطئة
طيلة الوقت ...
- بالفعل ...

واتفجر عمى ضاحكاً :
- كانت دعاية .. دعاية كهربائية !!
ومنذ ذلك الحين غدا عمى أسعد الرجال ..
ربما باستثناء رجل واحد وهو أنا ..
لأن (جروين) كانت قد صارت زوجتى .

[تمت بحمد الله]



رحلة إلى مركز الأرض

كانت فكرة مجنونة خطرت لعمه ، ولم يكن يملك سوى
القبول .. سيقومان برحلة إلى مركز الأرض عبر فوهة بركان
خامد ..!..!.. إن أحدا لم يسبقهما إلى رحلة مماثلة .. لهذا كل
شيء ممكن .. كل كابوس حقيقة .. وكل خطوة قد تكون
الأخيرة ..!

إن عشاق (جول فيرن) لن يدعوا هذه الرواية تفوتهم ..